غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الحادي عشر

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المِحْوَرُ الثَّالِثُ

الفِقْهُ وَأُصُولُهُ

فِقْهُ العِبَادَاتِ

٢٦ فقه العلم

٢٧ فقه الطهارة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

المحور الثالث

الفقه وأصوله: فقه العبادات

٢٦

فـقـه الـعـلـم

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨].

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا**». متفق عليه.

عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله**». متفق عليه.

عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**». متفق عليه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

علــم الفقه هو القانون الإســلامي الذي يضبط حياة الفرد المســلم والجماعة المســلمة والأمة المسلمة والدولة المســلمة بأحكام الشرع، سواء منها:

ما يختص بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، وهو ما ينظمه فقه العبادات.

أم ما يتصل بالعلاقة بين المرء ونفســه، وهو ما ينظمه «فقه الحلال والحرام» و«أدب السلوك الشخصي».

أم ما يتصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته، وهو «فقه الأسرة» من الزواج وما يترتب عليه، أو ما يُسمى «الأحوال الشخصية».

أم ما يتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس بعضهم وبعض، وهو ما يُســمى «المعاملات»، ويدخل في القانون تحت اســم «القانون المدني».

أم ما يتصل بالجرائم والعقوبات، وهو ما يُســمى فــي الفقه «الحدود والقصاص والتعزير»، ويدخل في القوانين تحت عنوان «التشريع الجنائي».

أم ما يختص بالصِّلة بين الدولة والشعب، أو بين الحاكم والمحكوم، وهو ما يُســمى «السياسة الشــرعية»، ويُســمى عند القانونيين «القانون الدستوري» أو «الإداري».

وهناك أيضًا الجهاد والســير، وهو ما يدخل تحت اسم «العلاقات الدولية».

إلى غير ذلك من أنواع الفقه.

يوسف القرضاوي

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين وختم برسالته رسالات الأنبياء، وبشريعته شرائعهم، وأكمل له الدين، وأتم به عليه النعمة: سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسار على دربه إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فإن الإسلام، إذا أردنا تلخيصه في كلمتين اثنتين، قلنا: هو عقيدة وسلوك، أو إيمان وعمل.

والعلم المتكفل ببيان العقيدة وتعاليمها وشرحها هو: «علم التوحيد».

والعلم المتكفل ببيان العمل ومعرفة ما له من حكم شرعي هو: «علم الفقه».

وهناك علم اختص بالأعمال الباطنة، أي ما يتعلق بأعمال القلوب، محبوبة كانت أو مبغوضة، وهو «علم التصوف»، أو «السلوك».

ومن أئمتنا من وضع هذه العلوم كلها جنبًا إلى جنب في نسق واحد،

QaradawiBooks.com

كما فعل ذلك الإمام أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) في كتابه الشهير «إحياء علوم الدين»، الذي استوعب كل ما يهم المسلم معرفته من قواعد العقائد التي يهتم بها علم الكلام أو التوحيد، ومن الأعمال الظاهرة ـ عبادات ومعاملات ـ التي يهتم بها علم الفقه، ومن الأعمال القلبية الباطنة ـ مهلكات ومنجيات ـ التي يهتم بها علم التصوف، والتي هي لب الكتاب وجوهره.

ومن الأئمة من أدخل التوحيد والعقائد تحت اسم الفقه، وسماه (الفقه الأكبر)، كما رُوي ذلك عن الإمام أبي حنيفة.

ومنهم مَن أدخل ما لا بد من تعلمه من العقائد والآداب في الكتب الموضوعة أساسًا للفقه، كما نرى ذلك في كتاب «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني (ت: ٣٨٦هـ)، وهي مشهورة في الفقه المالكي، ومشروحة لأكثر من واحد، فقد بدأها بما يجب معرفته من العقائد، وختمها بمجموعة من الأحكام المتعلقة بالآداب والأخلاق، مما أُمر به أو نُهي عنه.

وكما فعل ذلك الإمام الظاهري أبو محمد ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) في كتابه المعروف «المحلَّى»، فقد بدأه بأهم ما يجب العلم به من العقائد والأصول.

ولكنَّ الذي اشتهر في الاصطلاح، واستقرَّ عليه الأمر، هو إفراد علم الفقه بالأفعال الظاهرة للمكلفين، من عبادات أو معاملات، ليعرف به الحلال من الحرام، والصحيح من الفاسد، والمشروع من غير المشروع، وعلى أساسه قامت «مجامع الفقه».

وعلى ضوء هذا التحديد نتحدث هنا عن «تيسير الفقه» أو «الفقه الميسر المعاصر»، تمهيدًا للكتابة في أبواب هذا الفقه من عبادات ومعاملات وآداب، وأحكام تتعلق بالأسرة، وبالمجتمع وبالدولة وبالعلاقات الدولية، وغيرها، مما يدخل في نطاق الفقه، الذي يستوعب

QaradawiBooks.com

الحياة كلها فردية واجتماعية، ولا يدع فعلًا من أفعال المكلفين إلا وأصدر فيه حكمًا من الأحكام الشرعية الخمسة المعروفة، وهي: الوجوب، والاستحباب، والحرمة، والكراهة، والإباحة.

هذا، وقد أصدرتُ منذ سنوات كتابًا في هذا الجانب أو هذه السلسلة «تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة»، هو كتاب «فقه الصيام». ولكن ترتيبه في هذه السلسلة ليس الأول، إنما استجبنا لاقتراح بعض الإخوة: أن ننشر ما ينجز، بغض النظر عن الترتيب. ويمكن اعتبار كتاب «الحلال والحرام» جزءًا من هذه السلسلة أيضًا.

والآن نصدر هذا الكتاب الذي يعد فاتحة لهذه السلسلة، ويتضمن ما يلي:

ـ تمهيد عن شرعية التيسير، ولماذا نتبنّاه، وما المقصود به في مجال الفهم، وفي مجال العمل والتطبيق؟

ـ بيان بالمعالم الأساسية لمنهجنا الفقهي.

ثم نتحدث عن فقه العلم، الذي آثرنا أن نبدأ به سلسلة الفقه، فبه يتبين لنا الحق من الباطل في المعتقدات، والمسنون من المبتدع في العبادات، والصحيح من الفاسد في المعاملات، والحلال من الحرام في التصرفات، والصواب من الخطأ في الأفكار، والمحمود من المذموم في المواقف والأفراد والجماعات. ولهذا كان طلب العلم مقدمًا على طلب العمل.

وبهذا تتعانق هذه السلسلة في فقه الأعمال الظاهرة، والسلسلة الأخرى في فقه الأعمال الباطنة «تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة: في الطريق إلى الله»، وقد صدر منها ثلاثة أجزاء[1].

(١) هي الآن سبعة بحمد الله.

QaradawiBooks.com

وقد كان شيخنا السيد سابق رَحِمَهُ اللَّهُ، أصدر من أكثر من ربع قرن كتابه الشهير «فقه السنة»، ونفع الله به كثيرين، وأنا منهم، ولكن العلم لا يقف عند حدٍّ، ولكل شيخ طريقة ومنهج، والأمة في حاجة إلى أكثر من كتاب، وأكثر من رؤية، وهذا ما كان عليه علماؤنا السابقون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والله نسأل أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن يهب لنا نورًا نمشي به في الظلمات، وفرقانًا نميز به بين المتشابهات، وأن يهدينا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

كما نسأله تبارك وتعالى أن يهب لنا العافية والعون، والبركة والتوفيق، لإكمال هذه السلسلة الفقهية وشقيقتها السلوكية، على ما يحب ربنا ويرضى، وأن ينفع بهما المسلمين في كل مكان، وأن يتقبل منا عملنا، ويرزقنا الإخلاص فيه. إنه سميع مجيب.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

الدوحة في صفر الخير ١٤١٧هـ[1] / يوليو ١٩٩٦م

الفقير إلى ربه

يوسف القرضاوي

(١) كتبت هذه المقدمة في تاريخها المذكور، أي منذ نحو ثلاث سنوات، على أمل أن أدفع الكتاب للمطبعة، وقدر الله أن يتأخر إلى صفر الخير ١٤٢٠هـ - يونيو ١٩٩٩م، وكل شيء بأجل مسمى، والخير فيما اختاره الله جل شأنه.

QaradawiBooks.com

تمهيد

نحو فقه ميسر معاصر

- أولًا: تيسير الفقه للفهم.
- ثانيًا: تيسير الفقه للعمل والتطبيق.
- معالم منهجي الفقهي.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

المراد من تيسير الفقه

علم الفقه وشموله:

الفقه كما يعرِّفه أهله هو: معرفة الأحكام الشرعية العملية، من أدلتها التفصيلية. فهو علم القانون الإسلامي، ولكنه ليس كعلم القانون الوضعي؛ بل هو أعمق وأشمل وأوسع دائرة.

علم الفقه هو العلم الذي يضبط حياة الفرد المسلم، والجماعة المسلمة، والأمة المسلمة، والدولة المسلمة، بأحكام الشرع، سواء منها:

ما يختص بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، وهو ما ينظمه فقه العبادات.

أم ما يتصل بالعلاقة بين المرء ونفسه، وهو ما ينظمه «فقه الحلال والحرام» و«أدب السلوك الشخصي».

أم ما يتصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته، وهو «فقه الأسرة» من الزواج وما يترتب عليه، أو ما يُسمى: «الأحوال الشخصية».

أم ما يتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس بعضهم وبعض، وهو ما يُسمى «المعاملات»، ويدخل في القانون تحت اسم: «القانون المدني».

نسخة مجانية

أم ما يتصل بالجرائم والعقوبات، وهو ما يُسمى في الفقه «الحدود والقصاص والتعزير»، ويدخل في القوانين تحت عنوان: «التشريع الجنائي».

أم ما يختص بالصِّلة بين الدولة والشعب، أو بين الحاكم والمحكوم، وهو ما يُسمى: «السياسة الشرعية»، ويُسمى عند القانونيين «القانون الدستوري» أو «الإداري».

وهناك أيضًا الجهاد والسير، وهو ما يدخل تحت اسم: «العلاقات الدولية».

إلى غير ذلك من أنواع الفقه.

إن الأمة الإسلامية ليست أمة سائبة، بل هي أمة ملتزمة بعقيدة وشريعة، وإن الفقه هو الذي يضبط الدورة الحضارية للأمة بأحكام الشرع، حتى يكون إيقاعها الحضاري وفق ما يريده الإسلام، وما يأمر به، حتى تكون حركتها للإسلام وبالإسلام.

وليس الفقه ـ إذن ـ خاصًّا بالأحكام الفردية والأسرية، بل هو يشمل الحياة الاجتماعية والسياسية، والدستورية والمالية والدولية، وسائر مجالات الحياة.

وقد اعتاد المسلمون في عصور التراجع والانحطاط والانحراف ـ وإلى اليوم ـ أن يسألوا الفقه في مسائل الحيض والنِّفاس، والطهارة والصلاة، والرضاع والطلاق ونحوها، مما يتعلق بالحياة الشخصية للمسلم، ولا يسألوه في الأمور الكبيرة، التي تتعلق بمصير الأمة وكيانها ورسالتها، كما نرى ذلك في عصرنا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا يسألونه عن تسلط الحكام العملاء الخونة، أو الحكام الجبابرة المستبدين على شعوبهم المقهورة!

لا يسألونه عن نهب المال العام، والإثراء الحرام، وتكوين الثروات الضخمة من دماء الكادحين وعرقهم!

لا يسألونه عن تزوير الانتخابات الذي أصبح ظاهرة مميزة لأوطاننا العربية والإسلامية، فنحن ـ دون العالم ـ بلاد التسعات الأربع المعروفة (٩٩,٩٩٪)!

لا يسألونه عن الظُّلم الاجتماعي: ظلم الأغنياء للفقراء، والأقوياء للضعفاء، والرجال للنساء، وأرباب العمل للعمال، وأصحاب النفوذ للمستضعفين!

لا يسألونه عن التهاون في أرض الإسلام، والتنازل عنها لمن اغتصبها بالقوة، والاعتراف بأنه أصبح مالكها.

لا يسألونه عن السكوت على شعوب إسلامية تُذبح وتباد على مرأى ومسمع من أمة الإسلام، ولا تجد من يشد أزرها في محنتها، ويعينها على عدوها.

ويوم سأل بعضهم الفقه الإسلامي في قضية حساسة هي: حكم المرتد في شريعة الله، وأجاب الفقه بصراحة على لسان فقهائه ودعاته وقضاته، قامت الدنيا ولم تقعد!

والواجب على الفقه المعاصر: أن يجيب عن أسئلة الجماعة، كما يجيب عن أسئلة الفرد؛ إذ ما من واقعة من وقائع الحياة البشرية، ولا عمل من أعمال المكلفين، إلا وللشريعة حكم فيها، اقتضاءً أو تخييرًا، علمه من علمه وجهله من جهله.

QaradawiBooks.com

فشمول الشريعة مما لا خفاء فيه، ولا خلاف عليه. فهي تشمل حياة المسلم ـ طولًا ـ منذ ولادته إلى موته، وتشملها ـ عرضًا ـ فتستوعب جوانب حياته كلها في البيت والعمل والطريق والمسجد... إلخ، وتشملها ـ عمقًا ـ فتمتد في حياته الرُّوحية والمادية، الفردية والاجتماعية، الدنيوية والأخروية، على تفاوت بينها.

شرعية التيسير:

هذا الفقه الرَّحب مطلوب تيسيره للناس في عصرنا، وهو واجب على أهل العلم من الأفراد والمجامع والهيئات والجامعات.

وأود أن أقرر في بداية الأمر أن التيسير أمر مطلوب شرعًا في ذاته، وليس مجرد استجابة لضغط الواقع، أو تناغمًا مع روح العصر، كما قد يتصور بعض الناس.

فالشريعة الإسلامية مبناها على اليسر لا على العسر، وتعليمها للناس مبني على التيسير لا على التعسير، والدعوة إليها قائمة على التبشير لا على التنفير.

أما ابتناء الشريعة على اليُسر، فهو واضح غاية الوضوح، من آيات القرآن الكريم، فهو يقول في ختام آية الطهارة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

ويقول في ختام آية الصوم: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويقول بعد الآيات المتعلقة بالمحرمات في النِّكاح، وما أحل الله بعد ذلك: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨].

QaradawiBooks.com

ويقول بعد أن شرع العفو في القصاص بعِوض أو بغير عِوض: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وينفي الحرج عن الدين نفيًا عامًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨].

وحسبنا هذه الآية العامة المطلقة يخاطب الله بها رسوله الكريم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

واقتباسًا منها جاء قوله ﷺ: «**يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة**»(١).

وأما ابتناء تعليم الشريعة على التيسير لا التعسير، والدعوة إليها على التبشير لا التنفير، فتدل عليه أحاديث صحاح، منها:

ما قاله ﷺ لأصحابه حين هموا بالأعرابي الذي بال في المسجد: «**دعوه** ـ أي لا تقطعوا عليه بولته ـ **وصبُّوا عليه ذنوبًا من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا مُعسِّرين**»(٢).

ولما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، زودهما بوصية جامعة مختصرة قال فيها: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوعا ولا تختلفا**»(٣).

فهذا هو المنهج المحمدي في الدعوة والتعليم: التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والتطاوع لا الاختلاف.

---

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

وما قاله لمعاذ وأبي موسى قاله تعليمًا للأمة كلها فيما رواه عن أنس: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»[١].

المقصود بتيسير الفقه:

ويُقصد بتيسير الفقه أمران:

أولهما: تيسير فهمه للمسلم المعاصر المشغول بمتاعب الحياة، المزحوم بكثرة المعارف التي تُخرجها المطابع أو تُشحن بها «الكومبيوترات» كل يوم؛ بل كل لحظة، مما يُعرف اليوم تحت عنوان: «انفجار المعرفة» أو «ثورة المعلومات» ونحوهما.

وثانيهما: تيسير أحكامه نفسها للعمل والتطبيق، بالبعد عن التغليظ والتشديد، وترجيح التخفيف والتيسير. وسنخص كلًّا من الأمرين بحديث.

غير مرخصة للطباعة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أولًا: تيسير الفقه للفهم

أما تيسير الفقه للفهم، فيتحقق بعدة أمور:

توخي السهولة والتوسط:

١ ـ أن يكتب بلغة مبسطة وأسلوب سهل، بعيد عن الإغراب في الألفاظ، والتكلف في العبارات.

٢ ـ تجنب وعورة المصطلحات التي فيها كثير من الغموض لدى القارئ غير المتخصص، و«ترجمتها» إلى عبارات سلسة مفهومة للشخص العادي.

٣ ـ التوسط بين الإيجاز الملغز (الذي عرفت به (المتون) في المذاهب المتبوعة، والتي كان المقصود منها تسهيل الحفظ، ثم احتاجت المتون إلى شروح، والشروح إلى حواشٍ، والحواشي أحيانًا إلى تقريرات)، وبين الإطناب الممل (الذي يتوسع في الشرح والتفصيل في غير حاجة إلى ذلك).

مخاطبة العقل المعاصر:

٤ ـ مخاطبة العقل المعاصر باللسان الذي يُبَيِّن له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم: ٤]، واللسان في هذه الآية ـ في فهمي ـ أعمق وأوسع من مجرد مخاطبة العرب بالعربية والإنجليز بالإنجليزية؛ بل يشمل ذلك مخاطبة العوام بلسان العوام، والخواص بلسان الخواص، فلكلٍّ لغته وعقليته، وكذلك الإنسان في القرن الخامس عشر الهجري، غير الإنسان منذ قرنين أو

QaradawiBooks.com

ثلاثة من الزمان. فما كُتب في العصور السابقة لا ينبغي أن يُؤخذ بحذافيره كما هو، ويخاطب به أهل عصرنا، وقد تغيرت المعلومات، وتغيرت بالتالي الأفكار، وتغيرت العلاقات وتغيرت المشكلات، وتغير أسلوب الخطاب، والمطلوب أن يراعَى ذلك كله إذا أردنا أن يفهمنا الناس ويعقلوا خطابنا لهم، ولا نفتح على أنفسنا أبوابًا من المشكلات انتُهي منها، ولا ضرورة لها اليوم، وهي تضرنا أكثر مما تنفعنا.

استخدام معارف العصر ومقاديره ومصطلحاته:

٥ ـ ومن ذلك: استخدام معارف العصر في بيان الحُكْم الشرعي، أو في ترجيح بعض الآراء الفقهية على بعض، أو في بيان حكمة الشارع فيما شرع: إيجابًا أو استحبابًا أو تحريمًا أو كراهة أو إباحة. والعالِم الشرعي الموفَّق، هو الذي يستطيع توظيف المعلومات العصرية ـ وهي كَمٌّ هائل ـ في خدمة الأحكام الشرعية، دون تكلف ولا اعتساف.

ترجمة المقادير الشرعية إلى مقادير العصر:

٦ ـ ومنه: ترجمة المقادير الشرعية إلى مقادير العصر، كالصَّاع والمُدّ، والوَسق والقُلَّة والذِّراع والدِّرهم والدينار والأوقية والرَّطل والمَنّ والقنطار ونحوها، في الطهارة، وفي نصاب الزكاة، ونصاب السرقة، وأقل المهر، والدية ونحوها.

استخدام بعض المصطلحات الحديثة:

٧ ـ استخدام بعض المصطلحات الحديثة إذا كانت تُعين على فهم الأحكام الشرعية، مثل استعمال كلمة «وعاء الزكاة» بدل «المقادير التي تجب فيها الزكاة» ويمكن الجمع بينهما.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ربط الفقه بالواقع وحذف ما لا يتصل به:

٨ ـ حذف ما لا حاجة إليه في عصرنا من الصور الافتراضية، أو المسائل التي لم تعد قائمة في زمننا، مثل الأحكام الكثيرة الوفيرة المتعلقة بالرق والرقيق، وهي من الكثرة والوفرة بحيث لا تكاد تقرأ بابًا من أبواب الفقه في العبادات أو المعاملات إلا طالعتك في صور وأمثلة شتَّى.

فلا بد أن يرتبط الفقه بالواقع، ويبين حكمه، فلا يجوز أن يطيل ويفصل في أحكام شركات «المفاوضة» و«العنان» و«الوجوه» ونحوها مما أطنبت فيه كتب الفقه، ويلوذ بالصمت المطبق إزاء «شركات المساهمة» و«التضامن» و«التوصية بالأسهم» ونحوها، مما يتعامل الناس معه اليوم في مختلف أوطان الإسلام، بل ينبغي أن يستفيد الفقه المعاصر مما استنبط الفقهاء من أحكام لها صفة العموم، وما قرروه من قواعد تتعلق بالشركات، لتوظف في فقه الشركات المعاصرة.

ومثل ذلك: أن يتوسع ويطنب في زكاة الأنعام من الإبل والبقر والغنم وما فيها من بنت مخاض، وبنت لبون، ويسكت عن زكاة أموال الشركات المذكورة، وزكاة المصانع والعمارات وغيرها من «المستغلات»، ولا سيما في المدن الصناعية والتجارية التي لا تَرَى فيها جملًا ولا ناقة!

ومثل ذلك: أعمال البنوك، وشركات التأمين، وأسواق السِّلع والنقود (البورصات) وغيرها، مما يسأل المسلمون عن حكمه في كل مكان.

QaradawiBooks.com

بيان الحكمة من التشريع:

٩ ـ بيان الحكمة من التشريع، حتى يقتنع به العقل ويطمئن به القلب، فإن الله تعالى حكيم لم يشرع شيئًا إلا لحكمة، كما لم يخلق شيئًا إلا لحكمة. وهو كما تنزَّه عن الباطل في خلقه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١]. تنزَّه عن العبث في شرعه، حتى إن القرآن الكريم جعل للعبادات المحضة عللًا وحكمًا مفهومة، كما في قوله عن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال في تعليل فرضية الصيام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وفي الحج ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٨]، كما قال في الزكاة: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وينبغي الاستفادة مما يكتبه الاختصاصيون في هذا العصر، مما يفيدنا في بيان حكمة الشرع، واشتماله على أعلى المصالح للبشر، مثل ما يكتبه الأطباء في بيان مَضارِّ الخمر وأكل لحم الخنزير، والأمراض الخطيرة التي تنشأ من اقتراف الزِّنَى والشذوذ الجنسي، ونحو ذلك.

ومثله ما يكتبه الاقتصاديون عن الآثار المدمرة للرِّبا في الحياة الإنسانية.

وما يكتبه النفسيون عن أثر الصلاة والعبادة في تكوين الشخصية السوية القوية، المتمتعة بالسكينة والطمأنينة، والتي لا تنهار لأول صدمة.

على أنه يجب الحذر والتحذير من التعليلات «القاصرة» التي تفتح بابًا للمتحللين والمنكرين، مثل تعليل تحريم الربا باستغلال حاجة الفقير، وتعليل تحريم الزِّنى بمنع اختلاط الأنساب، فهذه وما شابهها تعليلات صحيحة، ولكنها قاصرة لا تغطي كل الصور الواقعية.

QaradawiBooks.com

ففي عصرنا نجد أصحاب الملايين يذهبون إلى البنوك ليستقرضوا بالربا، فلم يعد ذلك مقصورًا على من يستدين لمأكله وملبسه.

كما أن هناك من تزني وهي تتناول الحبوب المانعة للحمل، أو تزني بعد سن اليأس، أو تزني وهي حامل، فلا احتمال في هذه الصور لاختلاط الأنساب، لهذا حذرنا في كتابنا «ثقافة الداعية» من هذه التعليلات القاصرة[١].

بيان الأسرار الباطنة للعبادات المفروضة:

١٠ ـ ولا يقتصر بيان الحكمة على المعاملات، بل يشمل العبادات، كما أشرنا إلى ذلك.

لهذا كان مما ينبغي العناية به في الفقه الميسر المعاصر: بيان الأسرار الباطنة للعبادات المفروضة، فمما لا ريب فيه أن للعبادات الإسلامية حِكَمًا وأسرارًا ينبغي الالتفات إليها، والاهتمام بإبرازها[٢].

فالعبادة جسم وروح، فجسم العبادة هو الشروط والأركان الظاهرة التي تؤديها الجوارح، أما روحها فهي: التقوى والإخلاص والإحسان الذي فسره النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٣]، وهذه لباب العبادة. أما الرسوم الظاهرية فهي قشرها.

ولهذا قال تعالى في هدايا الحج وذبائحه: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾ [الحج: ٣٧].

(١) ثقافة الداعية صـ ٨٢ ـ ٨٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٥، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٢) بيَّنا بعض هذه الأسرار في كتابنا: العبادة في الإسلام صـ ١٧١ ـ ٢٤٧، عبادات الإسلام أسرارها وآثارها في الحياة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢٩، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال في الصلاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

وقال في الصوم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وفي الصحيح: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[(١)].

إن عيب الفقهاء في كتبهم ـ في الأعم الأغلب ـ أنهم وجهوا عنايتهم إلى الظاهر، ولم يلتفتوا كثيرًا إلى الباطن. فإذا بحثوا في الصلاة دار بحثهم كله حول توافر الأركان والشروط المتصلة بصورة الصلاة وظاهر المصلي، أما روح الصلاة ـ وهو الخشوع وحضور القلب ـ فهم بمعزل عنه. وإذا تحدثوا عن ذلك، فلا بد أن يكون ذلك بصفة أخرى غير صفة الفقيه.

ولهذا نجد الإمام الغزالي يتحدث عن الجوانب الظاهرة والشكلية التي يعتني بها إخوانه وتلاميذه من أهل الفقه. ثم يقفز قفزة إلى الأمام وإلى أعلى، ليتحدث عن الأسرار والروح. كما نجد ذلك في الربع الأول من «الإحياء»، فهو يتحدث عن الصلاة وشروطها، ثم يثب وثبة عالية ليتحدث عن الخشوع والخاشعين.

وكذلك في الزكاة والصيام والحج يتحدث عن الأسرار الباطنة وراء كل عبادة من هذه العبادات. وهذا ما ينبغي للفقه المعاصر ألا يغفله.

ربط الأحكام بعضها ببعض:

١١ ـ ومن الأمور المهمة هنا: ربط الأحكام الجزئية بعضها ببعض، وبالمقاصد الكلية العامة للشريعة، ولرسالة الإسلام، فإن الإسلام كل

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لا يتجزأ، فالذي يتحدث مثلًا عن نظام «العاقلة» في الديات، الذي يُحمِّل العاقلة أي العصبة، دية قتل الخطأ وشبه العمد، ينبغي أن يُذكِّر بنظام «النفقات» بين الأقارب، ونظام «المواريث» بينهم، حتى تتضح الصورة الكلية، ويتقابل جانبا الغنم والغرم معًا، وبذلك ترتبط الأحكام بعضها ببعض، ويفهم المسلم سر تحميل عصبة الإنسان وأقاربه الدية متضامنين معه، وهو لون مهم من التربية والتوجيه للمسؤولية المشتركة.

التخفف من كثرة الزوائد والتعقيدات:

١٢ ـ التخفف من كثرة الزوائد والتشعيبات والتعقيدات التي أضافتها العصور المختلفة، وخصوصًا في مجال العبادات، حتى غدت كمًّا هائلًا من الجزئيات التفصيلية، التي نقلت تعلم الدين من اليسر إلى العسر، حتى إني لا أنسى كيف كنت ـ وأنا صغير السن ـ أقضي في استماع دروس شهر رمضان بين المغرب والعشاء: الشهر كله، ولا نكمل ما يتعلق بالوضوء والطهارة، حتى قلتُ مرة مازحًا: إننا طوال ثلاثين ليلة لم نخرج من دورة المياه!

وقد كان الرجل يأتي من البادية إلى النبي ﷺ فيتعلم الوضوء والصلاة بمشاهدة وضوء النبي الكريم وصلاته مرات معدودة، وقد قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[1]. وقد يوجهه ببعض الإرشادات والتوجيهات، ثم يعود إلى قومه وقد تفقه في الدين، ليُعلِّم قومه ما تعلمه.

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٨)، عن مالك بن حويرث.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أما أن يذكر بعض الفقهاء مثلًا بضعة عشر شرطًا لصحة تكبيرة الإحرام، يجب أن يحفظها من يريد صحة صلاته، فهذا لم يجئ به كتاب ولا سنة، ولا قام عليه تعليم السلف الصالح[١].

الاستفادة من كتابات العصر:

١٣ ـ الاستفادة من كل ما كتب في عصرنا من العلماء الثقات في شتى جوانب الفقه الإسلامي، وخصوصًا في الفقه المقارن، ومن قرارات ودراسات المجامع الفقهية والعلمية في أنحاء عالمنا الإسلامي[٢]. ومن الرسائل الجامعية الأكاديمية للماجستير والدكتوراه في الموضوعات الفقهية.

ومن أجزاء الموسوعات التي صدرت في الكويت والقاهرة. ومن البحوث والفتاوى التي تصدر عن إدارات الإفتاء المختصة. وكذلك ما يصدر عن هيئات الرقابة الشرعية للمصارف الإسلامية.

مستويات مختلفة من الكتب:

١٤ ـ يحسن أن يكون هناك أكثر من كتاب في الفقه، كل كتاب لمستوى معين من الثقافة والإدراك، يتدرج مع المسلم كيفًا وكمًا، ويبدأ بالعبادات، ثم بشؤون الأسرة، ثم بالمعاملات المهمة، ثم بعد ذلك يشمل أبواب الفقه كلها، ويمكن أن يكون على مستويين أو ثلاثة.

---

(١) انظر كتابنا: العبادة في الإسلام صـ ٢٥١ ـ ٢٧٦، فصل: المنهج الأمثل في تعليم العبادات.

(٢) مثل: ما صدر عن (مجمع الفقه الإسلامي) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومقره جدة، و(المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي) بمكة المكرمة، و(مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر) بالقاهرة، وغيرها.

QaradawiBooks.com

وقد كان علماؤنا السابقون يراعون هذا في تأليفهم. فنجد الإمام أبا حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) يؤلف في فقه الشافعية: «الخلاصة» ثم «الوجيز» ثم «الوسيط» «أي المبسوط الموسع»، وفيه قال بعض الشافعية:

نصر المذهب حبرٌ أحسن الله خلاصهْ
ببسيط ووسيط ووجيز وخُلاصة[1]

ونجد مثل ذلك في مؤلفات الإمام ابن قدامة الحنبلي، ابتداءً بـ«العمدة» وهو مختصر مركز، وانتهاء بـ«المغني» وهو موسوعة جامعة، وبينهما «المقنع» و«الكافي».

الترقيم ووسائل الإيضاح والفهرسة الدقيقة:

١٥ ـ يلتزم بالترقيم وعلاماته المتفق عليها، وتضبط الآيات والأحاديث بالشكل، مع الالتزام بترقيم الآيات وبيان سورها، وتخريج الأحاديث تخريجًا غير مفصل، وذلك ببيان من أخرج الحديث، وبيان درجته إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما، على ألا يستدل بحديث يقل عن درجة الحسن.

١٦ ـ ينبغي الاستعانة بكل وسائل الإيضاح الممكنة التي أتاحها لنا العلم المعاصر لتساعد على زيادة الفهم للأحكام الشرعية، من كل ما هو مباح وملائم ومتيسر من رسوم توضيحية، وصور فوتوغرافية،

(١) هو أبو حفص عمرو بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي، كما في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٦/٢٢٣)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

وخطـــوط بيانية، ومن جـــداول وخرائط وغيرهـا، تأســـيًا بالنبي ﷺ الـــذي كان يعلم أصحابـــه بالخط علـــى الرمال، وضـــرب الأمثلة للتقـريب والتوضيح.

١٧ ـ يجب وضع فهارس مفصلة في نهاية الكتاب الذي يؤلف في الفقه، بعضها حسب الموضوعات، وبعضها حسب الألفاظ المعجمة، وبعضها للآيات، وبعضها للأحاديث، وغيـــر ذلك مما يعتبر مفاتيح ضرورية للباحث في الكتاب.

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثانيًا: تيسير الفقه للعمل والتطبيق

ذلك هو التيسير في تقديم الفقه، وتقريبه إلى عقل المسلم المعاصر غير المتخصص، أي إلى جمهور المسلمين، وهذا هو الشق الأول من التيسير.

أما الشق الثاني من التيسير فيتعلق بالتيسير في أحكام الفقه ذاتها، بحيث يسهل على المسلم المعاصر تنفيذها والالتزام بها في العبادات والمعاملات، وسائر شؤون الحياة فردية واجتماعية.

وليس معنى التيسير الإتيان بشرع جديد من عند أنفسنا، نسقط به عن الناس ما فرضه الله عليهم، أو نحل لهم ما حرم الله عليهم، أو نبتدع لهم في الدين ما لم يأذن به الله تعالى.

فهذا ليس من التيسير الذي نريده في شيء، بل هو تزييف وتحريف، لا يقبله عالم مسلم، يحترم دينه، ويحترم عقله.

المقصود بالتيسير المنشود هنا:

إنما نريد بالتيسير هنا جملة أمور:

١ ـ مراعاة جانب الرخص:

مراعاة جانب اليسر والرخص في الشريعة إلى جوار العزائم، فلكل أهله، ولا ينبغي أن نعامل الناس كلهم بمستوى واحد. ولا يطالب الضعفاء بما يطالب به الأقوياء، ولا حديث العهد بالإسلام أو بالتوبة، مثل العريق في الإسلام والالتزام به، فقد قبل الرسول ﷺ من بعض الأعراب الاكتفاء بالفرائض الأساسية وحدها، مع حلفه أنه

QaradawiBooks.com

لا يزيد عليها ولا ينقص، ومع هذا قال: «**أفلح إن صدق**» أو «**دخل الجنة إن صدق**»[١].

وقال في بعض الأحوال: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[٢].

وقال ﷺ: «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**»[٣]، «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه**»[٤].

٢ ـ مراعاة الضرورات والظروف المخففة:

ومن ذلك: مراعاة الظروف والأعذار المخففة، والضرورات التي تبيح المحظورات، مع تقييدها بأن ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها[٥].

ومن ذلك: أنه عليه الصلاة والسلام كان يراعي ظروف الناس، واختلاف مستوياتهم وأمزجتهم وأعمارهم وأجناسهم، فلا يعامل الضعيف معاملة القوي، ولا يعامل الشاب معاملة الشيخ، ولا يعامل الشابة معاملة العجوز، ولا يعامل أصحاب المزاج المنبسط معاملة أصحاب المزاج المنقبض، وهذا واضح من سنته وسيرته ﷺ في باب اللهو واللعب والغناء ونحوها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٨٩١)، ومسلم في الإيمان (١١)، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٥٨٦٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن خزيمة في الصيام (٢٠٢٧)، وابن حبان في الصلاة (٢٧٤٢)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥٦٤)، عن ابن عمر.

(٤) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٣٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والطبراني (٣٢٣/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٩٤٠): رواه الطبراني في الكبير والبزار، ورجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبراني. عن ابن عباس. انظر كتابنا: المنتقى حديث رقم (٥٦٣).

(٥) انظر كتابنا: مدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية صـ ١٤٧ ـ ٢٣٠، نشر مكتبة وهبة القاهرة، ط٦، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، فصل: عوامل السعة والمرونة في الشريعة، وقد نشر في رسالة منفردة.

QaradawiBooks.com

فقد راعى طبيعة الأحباش، وميلهم للرقص واللعب، فأذن لهم أن يفعلوا ذلك في مسجده الشريف، وحين أنكر عليهم عمر ورماهم بالحصى، قال له: «**دعهم يا عمر**»[١]؛ وفي رواية أنه قال له: «**إنهم بنو أرفدة**».

وعرف حداثة سن زوجه عائشة، فأذن لها أن تنظر إليهم من وراء منكبه. حتى سئمت هي وتركت باختيارها.

وقد روت هي هذا الحديث وموقف الرسول الكريم منها، ثم تقول معلمة للأمة: فاقدروا قدر الفتاة الحديثة السن، الحريصة على اللهو[٢].

ونجده ﷺ يعتب على عائشة أنها زفت فتاة عندها إلى رجل من الأنصار، وقال لها: «**يا عائشة، ما كان معهم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو**»[٣].

وفي بعض الروايات: «**يا عائشة، هل غنيتم عليها؟ أوَلا تغنّون عليها؟ ثم قال: إن هذا الحي من الأنصار يحبون الغناء**»[٤].

وينبغي التذكير هنا بكلمة نقلها الحافظ أبو نُعَيْم في «الحلية» والإمام ابن عبد البر في «العلم» والإمام النووي في مقدمات «المجموع» عن الإمام الكبير سفيان بن سعيد الثوري، الذي انعقدت له الإمامة في الفقه وفي الحديث وفي الورع، فقد قال رضي الله عنه، وما أروع ما قال: إنما الفقه الرخصة من ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠١)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٦)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

(٣) رواه البخاري في النكاح (٥١٦٢)، عن عائشة.

(٤) رواه ابن حبان في الحظر والإباحة (٥٨٧٥).

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٦٧/٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٤٦٧)، وانظر: المجموع للنووي (٤٦/١)، نشر دار الفكر.

QaradawiBooks.com

ولا بد أن نلحظ قوله: الرخصة من ثقة. وهو من يوثق بفقهه ودينه معًا. أما من فقد الأمرين أو أحدهما، فهو يترخص فيما لا يجوز الترخص فيه، فيصادم القواطع والمحكمات من نصوص الشرع وقواعده، وهو ما لا يقبله مسلم حريص على دينه.

٣ ـ اختيار الأيسر لا الأحوط في زمننا:

وإذا كان التيسير مطلوبًا دائمًا، كما أمرنا رسول الله ﷺ، فهو ألزم ما يطلب في عصرنا هذا؛ نظرًا لرقة الدين في أنفس الكثيرين، وغلبة النزعات المادية، وتأثر المسلمين بغيرهم من الأمم، نتيجة لشدة الاتصال بين العالم بعضه وبعضه، حتى قال من قال: إن العالم قريتنا الكبرى! ولم يعد في استطاعة أحد أن يعيش في عزلة عن غيره، وأجهزة الإعلام تقتحم عليه داره، وتريه ما يجري في أقصى أطراف العالم، وخصوصًا اليوم بعد ما عرف باسم «البث المباشر».

وهذا ما عبر عنه علماؤنا في العصور المتأخرة بـ«تغير الزمان» أو «فساد الزمان»، وجعلوه سببًا من أسباب تغير الفتوى، كما ذكر العلامة ابن عابدين وغيره.

فقد قال ابن عابدين في رسالته «نشر العرف فيما بني من الأحكام على العرف»: «إن كثيرًا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولًا، للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير، ودفع الضرر والفساد»[1].

(١) انظر: رسائل ابن عابدين (١٢٥/٢)، نشر عالم الكتب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والمنهج الذي أراه ـ وهو منهجي الذي وفقني الله للالتزام به في الفتوى والتأليف والتدريس ـ وهو التيسير في الفروع، والتشديد في الأصول.

فإذا كان هناك وجهتا نظر، أو قولان متكافئان أو متقاربان في قضية، أحدهما أحوط، والآخر أيسر، فينبغي أن نختار للفتوى لجماهير الناس الأيسر لا الأحوط.

والحُجَّة في هذا ما قالته عائشة رضي الله عنها: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا[١].

وقوله ﷺ فيمن أطال بالناس الصلاة: «**أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس، فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة**»[٢]. فأشار إلى ضرورة رعاية ظروف الناس، والتخفيف عنهم، وخصوصًا الضعفاء منهم، ولهذا قيل في السفر: سيروا بسير أضعفكم[٣]؛ إذ لا يجوز أن يسرع الأقوياء، ويدعوا الضعفاء منقطعين عن الركب ولا راعي لهم.

والدارس المتعمق يلاحظ أن فقه الصحابة والسلف كان يتجه غالبًا إلى الأيسر، وفقه من بعدهم كان يتجه غالبًا إلى الأحوط.

فالصحابة ـ فيما أثر عنهم من فقه ـ نجدهم أكثر الناس تيسيرًا على الخلق، تأسيًا بالرسول ﷺ، والتابعون على نهجهم وإن لم يبلغوا درجتهم، والأتباع على نهج التابعين، وإن لم يكونوا مثلهم؛ لأنهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري الأذان (٧٠٢)، ومسلم الصلاة (٤٦٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.
(٣) إحياء علوم الدين (٩٧/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

بدؤوا يتجهون إلى الأحوط، وكل جيل أخذ يضيف بعض «الأحوطيات» إلى ما قبله.

وإذا كثرت «الأحوطيات» في الفقه المتصل بحياة الناس، فإن «مجموعها التراكمي» سينتهي إلى شيء من الآصار والأغلال التي جاء النبي ﷺ بوضعها عن الأمة، فقد جاء في وصفه في كتب أهل الكتاب: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ومن الأدعية التي علمها الله للمسلمين وختمت بها سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقد جاء في الصحيح: أن الله تعالى قد استجاب هذا الدعاء[1].

٤ ـ التضييق في الإيجاب والتحريم:

ومن التيسير المطلوب: التضييق والتحري البالغ في تكليف الناس بالأحكام وخصوصًا في مجال الفرض والتحريم، فلا يجوز التوسع في ذلك بأدنى دليل؛ بل لا بد من نصٍّ صحيح الثبوت، صريح الدلالة، على فرضية الفرض، وحُرمة الحرام، أو قياس واضح العِلَّة على نصٍّ، فإنا نقطع أن الشريعة العادلة لا تفرق بين متماثلين، كما لا تسوي بين مختلفين.

وقد كان السلف يتحرجون من التحريم ـ ومثله الفرضية ـ إلا أن يكون معهم دليل لا شُبهة فيه، وإلا نزلوا من الفرض إلى الواجب، ومن الحرام إلى المكروه. وهذا هو مذهب الحنفية الصريح، ويقرب منهم المالكية، وهو المفهوم من عبارات الأئمة بصفة عامة.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٢٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٩٢)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ولهذا كثر في كلامهم مثل قول: يعجبني كذا وكذا، أو أستحب كذا وكذا، ولا يصرح بالوجوب إلا ما عُلم جزمًا بوجوبه.

وقولهم في جانب المنهيات: أكره كذا، ولا أحب كذا، ولا يعجبني كذا، ولا يصرحون بالتحريم، إلا ما عُلم جزمًا بتحريمه.

ويدل لهذا الاتجاه موقف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من شرب الخمر، فقد ظل بعضهم يشربها ويقول: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا. برغم نزول آية: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وآية ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، حتى نزلت الآية الثالثة وفيها البيان الشافي، الذي ارتقبوه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ويبدو من التأمل في القرآن والسنة أن الإسلام كان حريصًا على تقليل التكاليف، وتوسيع «منطقة العفو» رحمة بالمكلفين غير نسيان.

ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة ١٠١].

وقد توسع في شرحها والتعليق عليها العلامة رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، وجعلها أساس كتابه «يُسر الإسلام».

وفي السُّنة نجد قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن أعظم المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يحرم، فَحُرِّم من أجل مسألته**»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٩)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

وقوله ﷺ: «**دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**»[(١)]، وفي رواية: «**فإنما أهلك الذين قبلكم كثرة مسائلهم...**» الحديث[(٢)]. وهو يشير بصفة خاصة إلى بني إسرائيل، وتعَنُّتهم وكثرة أسئلتهم التي لا موجب لها، كما يتبين ذلك في قصة ذبح البقرة، التي ذكرها القرآن، وأخبرهم نبيهم أن الله أمرهم أن يذبحوا بقرة، وكان يكفيهم أن يذبحوا أي بقرة، فيكونوا ممتثلين للأمر، ولكنهم أكثروا الأسئلة، وشددوا على أنفسهم. فشدد الله عليهم.

ومن ذلك: قوله ﷺ: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرمه فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا**». ثم تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][(٣)].

والحديث الآخر: «**إن الله قد حد حدودًا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء، رحمةً بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[(٤)].

٥ ـ التحرر من العصبية المذهبية:

ومن التيسير المنشود: التحرر من الالتزام بمذهب واحد معين، يُؤخذ به في جميع الأبواب والمسائل، عبادات ومعاملات، وإن كان فيه من

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٣٧) (١٣٠).

(٣) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

(٤) رواه الدارقطني في الرضاع (١٨٣/٤)، والطبراني (٢٢١/٢٢)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، عن أبي ثعلبة، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٥٩٧)، وحسنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثلاثون. والعمدة هو: حديث أبي الدرداء السابق.

QaradawiBooks.com

التعسير والتطبيق ما فيه، وكذلك إذا ظهر ضعف دليله ومستنده الشرعي في مقابل المذاهب الأخرى.

فالمذهب الواحد قد يضيّق في بعض المسائل والقضايا، ولكن الشريعة بنصوصها ومقاصدها ومجموع مذاهبها وتراث فقهائها، فيها من السّعة والمرونة ما يعطي حلًّا لكل مشكلة، ودواءً لكل داء، من طب الشريعة نفسها.

لقد ذمَّ علماء المسلمين المحققون التقليد وأنكروه، ولم يعتبروا المقلد عالمًا، وإنما هو تابع لغيره؛ إذ التقليد هو قبول قول الغير بلا حجة، والعلم هو معرفة الحق بدليله، ويقول الإمام ابن الجوزي: «إن المقلد على غير ثقة فيما قلَّد، وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه خُلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أُعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة»[(١)].

وقال غيره: لا يقلد إلا عصبي أو غبي[(٢)]!

وأبطل العلامة ابن القيم التقليد ورد على دعاة التقليد من واحد وثمانين وجهًا في «إعلام الموقعين»[(٣)].

ماذا نعني بالتحرر من المذهبية؟

وتحررنا من صرامة التقليد والعصبية لمذهب معين، لا يعني أن نذم المذاهب أو ننال من شأن الأئمة الكبار رضي الله عنهم، فهذا لا يقوله مسلم شَمَّ

(١) تلبيس إبليس صـ ٧٤. نشر دار الفكر، لبنان. ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) ذكره ابن عابدين في رسالة رسم المفتي، مطبوعة ضمن مجموع رسائله (٣٢/١)، نشر عالم الكتب.

(٣) إعلام الموقعين (١٦٨/٢ ـ ٢٦٠)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

QaradawiBooks.com

رائحة العلم، وقد ألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا قيمًا شهيرًا في ذلك، سمَّاه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» بيّن فيه أعذار الأئمة في ترك ما تركوه من الحديث، ووضَّح أن أحدًا منهم لم يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ، أو الإعراض عن سنة ثابتة عنه.

كما أن هذا التحرر لا يعني الاستغناء عن فقه المذاهب وكتبها، وما حفلت به من تعليلات وتخريجات، وتفصيلات ومناقشات ثرية، لا يشك في قيمتها دارس ينشد الحق، ويبحث عن الصواب بأدلته.

إنما نعني بالتحرر ألا يقيد الفقيه نفسه بغير ما قيده الله به ورسوله، فيأخذ من أي مذهب كان ما يراه أقوى حجة، وأرجح ميزانًا، في ضوء المعايير الشرعية، وفي هذا توسعة للأمة، وتيسير كبير عليها، وإعطاؤها مجالًا رحبًا للانتقاء والترجيح وفق مقاصد الشرع ومصالح الخلق.

وهذا ما التزمت به في كتبي، والحمد لله. ففي «فقه الزكاة» أخذت بمذهب أبي حنيفة في زكاة الزروع والثمار، وإيجابها في كل ما أخرجت الأرض، أخذًا بعموم الآية: ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وعموم الحديث: «**فيما سقت السماء العُشر**»[1]. ولكني لم آخذ بمذهب أبي حنيفة في عدم اشتراط النصاب في ذلك. كما لم آخذ به في عدم إيجاب الزكاة في أموال الصغار والمجانين، وإن بلغت الملايين. ولم آخذ به في إيجاب الزكاة على حلي المرأة، وإن كانت في إطار المباح المعتاد المستعمل.

(١) رواه البخاري (١٤٨٣)، وأبو داود (١٥٩٦)، كلاهما في الزكاة، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وأخذت بمذهب الشافعي في مقدار ما يُعطَى الفقير والمسكين من الزكاة بإعطائه «كفاية العمر»، لا مجرد «كفاية السنة» ما دام في حصيلة الزكاة متسع، وذلك لما يسنده من الحديث النبوي، ومن قول عمر: إذا أعطيتم فأغنوا[1].

وليس هذا من قبيل «التلفيق» الذي منعه المتأخرون من العلماء، فإن «التلفيق» الممنوع هو أخذ جزئية من مذهب، وأخرى من مذهب آخر، وهكذا حتى يتكون من مجموعها صورة لا يقول بها واحد من تلك المذاهب، وذلك على سبيل «التقليد المحض» دون نظر إلى الدليل. أما من أخذ ما أخذ من مذهب أو آخر، بناء على دليل رجَّحه، واعتبار شرعي راعاه، فليس هذا من التلفيق ولا التقليد في شيء، بل هو ضرب من الاجتهاد الجزئي، أو الترجيحي.

لماذا نرفض التقليد والعصبية المذهبية؟

وإنما قلنا بذلك لعدة أسباب مفصلة في مواضعها، أستطيع أن أوجز أهمها فيما يلي:

أ ـ أن التقيد بالمذاهب التزام بما لا يَلزم، ولا يجب دينًا وشرعًا؛ إذ لا واجب ـ دينًا وشرعًا ـ إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ورسوله اتباع مذهب معين من مذاهب الأئمة، إنما أوجب اتباع الكتاب والسُّنة، وهذه المذاهب إنما نشأت بعد أن اكتمل الدين، وانقطع الوحي، في القرن الثاني أو الثالث للهجرة، فلا يتصور أن يأتي الدين بإيجاب اتّباعها وهي لم تنشأ بعد.

(١) رواه عبد الرزاق (٧٢٨٦)، وابن أبي شيبة (١٠٥٢٦)، كلاهما في الزكاة، وضعفه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٨٣).

QaradawiBooks.com

ب ـ أن الأئمة المتبوعين أنفسهم نهوا عن تقليدهم. كما روى ذلك الحافظ ابن عبد البر ونقله عنه ابن القيم وغيره[١].

فليس في وجوب اتباعهم كتاب ولا سنة ولا إجماع، وقول المقلدين بوجوب اتباع المذاهب غير معتبر؛ لأن المقلِّد لا يقلَّد، حتى إنهم لو أجمعوا، لم يكن إجماعهم معتبرًا؛ لأن الإجماع المعتبر هو «اتفاق المجتهدين» في عصر من العصور، لا اتفاق المقلدين.

جـ ـ أن العلماء عامة ـ ومنهم المقلدون أنفسهم ـ قد رجحوا أن العامي لا مذهب له، وأن مذهبه مذهب من يفتيه من العلماء. وقد بينا أن الذي يختار مذهبًا ويقدمه على غيره، لا بد أن يكون لديه قدر من العلم والنظر يستطيع به أن يرجح بين أصول المذاهب، حتى يختار أقواها وأقربها إلى الصواب في نظره، والعامي بمعزل عن ذلك تمامًا.

وجماهير المتعلمين في عصرنا هي التي تستفتينا وتسألنا أن نقدم لها فقهًا عصريًّا ميسرًا، فليس لها هي مذهب معين، إنما مذهبها ما يقدمه أهل العلم لها مقرونًا بأدلته.

د ـ أننا مطالبون أن نقدم أحكام الإسلام للناس لنُرغِّبهم في هذا الدين، ونُحبِّب إليهم أصوله وتعاليمه. فهل من المقبول أن نقدم لهؤلاء نماذج أربعة ـ أو سبعة أو ثمانية ـ تمثل المذاهب المتبوعة، ونقول لهم: إن كل نموذج من هؤلاء يمثل التعاليم الإسلامية في رأي مدرسة أو مذهب من مذاهب فقهائه.

(١) جامع بيان العلم باب فساد التقليد ونفيه (٢/٩٧٥ ـ ٩٩٨)، إعلام الموقعين (٢/١٨١، ١٨٢)

QaradawiBooks.com

هـ ـ ومثل ذلك يقال لمن دخلوا في الإسلام بالفعل، وهم يكثرون، والحمد لله، ومثلهم الأقليات الإسلامية، والجاليات الإسلامية في شتى أقطار الدنيا، ما الذي ينبغـــي أن يُقَدم لهم؟ وعلى أي مذهب؟ وهل من الملائم أن نقول للمسلم الداخل حديثًا في الإسلام: إن أمامك عددًا من النماذج، فاختر واحدًا منها؟

لقد طالبت الجاليات الإســلامية منذ أكثر من ثلث قرن من مشيخة الأزهــر، ووزارة الأوقاف في مصــر، بتأليف مجموعة مــن الكتب أو الرســائل، في نحو ثلاثين موضوعًا تلبي حاجات ثقافية وعلمية للمسلم والمسلمة في تلك المواقع، فهل تؤلف تلك الرسائل أو الكتب على كل مذهب علــى حدة؟ أو يؤلف الكتــاب على أرجح ما يــراه المؤلف أو المؤلفون، وفق المعايير الإسلامية المعتبرة؟

لقد كنت ممن ســاهم في هذا المجال حين طُلِب إليَّ أن أكتب عما يحل للمسلم وما يحرم عليه، فكان كتاب «الحلال والحرام في الإسلام» الذي اعتمدته مشــيخة الأزهر، والإدارة العامة للثقافة الإسلامية، ليترجم إلى الإنجليزية ثم إلى غيرها بعد، وإن أخفق المشروع في النهاية للأسف.

وإن المثقفين المعاصرين اليوم يُطالبون علماء الشــريعة بتقديم الفقه للقضــاة والمتقاضين في صورة مواد مقننة منضبطــة، كما صنعت «مجلة الأحكام العدلية» من قبل، فهل نقدم هــذا «التقنين» العصري على صورة «نماذج أربعة» أو ثمانية؟ أو نقدم «نموذجًا مختارًا» يمثل الأرجح والأقوى في ضوء «الكتاب والميــزان» اللذين أنزلهما الله ليقوم الناس بالقســط، بحيث تتحقق مقاصد الشرع، ومصالح الخلق، كما يحب الله تعالى؟

QaradawiBooks.com

٦ ـ التيسير فيما تعم به البلوى:

وأهم ما ينبغي التيسير فيه ما تعم به البلوى، من أمور العبادات أو المعاملات.

أ ـ فإذا كان هناك بعض المذاهب تشدد في شؤون الطهارة والنجاسة مثلًا، كمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، فليس هناك موجب لإلزام الناس به؛ لما قد يترتب عليه من الحرج عند جماهير المسلمين وخصوصًا في الريف والقُرى.

فلا غرو أن يتجه الفقيه إلى مذهب مالك ومن وافقه في القول بأن كل ما يؤكل لحمه فبوله وروثه طاهر، وأن الماء لا ينجس إلا بالتغيّر، وهذا ما رجَّحه وأفتى به شيخ الإسلام ابن تيمية وعضده بالأدلة[١].

وقد قال الإمام الغزالي في كتاب «الطهارة» من «الإحياء» عن الشافعي: كنت أود أن يكون مذهبه في المياه كمذهب مالك. وساق سبعة أوجه لتأييد مالك[٢]، وهو شافعي المذهب، رضي الله عن الجميع.

بل نجد الإمام الشوكاني في «السيل الجرار» ضَيَّق في «النجاسات» إلى أبعد حد[٣]، وهذا هو الأليق بالتيسير.

ومثل ذلك ما قاله الغزالي عن البيع بالمعاطاة. أي بغير لفظ الإيجاب والقبول، وهو ما يجري عليه عمل المسلمين في كل مكان، وفي سائر العصور، وقول الشافعي فيه شديد، والبلوى به عامة.

---

(١) انظر طهارة أبوال وأرواث ما يؤكل لحمه في الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/٣٧٤ ـ ٤٠٦)، وأن الماء لا ينجس إلَّا بالتغير (٥/٢٩٨)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (١/١٢٩، ١٣٠)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) انظر: السيل الجرار صـ ٢٤ ـ ٣٦، باب النجاسات، نشر دار ابن حزم، ط١.

QaradawiBooks.com

فعلى الفقيه أن يعمل على تصحيح معاملات المسلمين، من داخل الفقه، ومصادر الشريعة وقواعدها، ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

وهذا ما يلمسه الدارس لدى كثير من علماء الفقه في المذاهب المختلفة، ولا سيما في الأعصر الأخيرة، فهم يحاولون أن يلتمسوا مخرجًا لتصحيح التعامل، إما بتكييفه تكييفًا يجعل له مستندًا من الشرع، أو بحيلة فقهية، أو باللجوء إلى قول مهجور أو ضعيف في المذهب، أو بإجازة تقليد مذهب آخر.

وكثيرًا ما يكون الضِّيق والحرج ناشئًا من التقيد بمذهب معين، ولو تحرروا منه إلى باحة المذاهب الأخرى المتبوعة وغير المتبوعة، وأقوال الصحابة والسَّلف، وإلى النصوص والقواعد العامة، لوجدوا في باحتها الفسيحة ما يخرجهم من الضيق إلى السّعة، ومن العُسر إلى اليُسر.

ومن الكلمات التي لها دلالتها، ما أُثر عن السابقين في ترجيح العمل ببعض الأقوال، قولهم: هذا أرفق بالناس.

ب ـ ومن جوانب التيسير ـ فيما تعم به البلوى ـ الإشارة إلى الرأي المخالف الذي لم يأخذ به الكاتب أو الكتاب، ولو في الحاشية، وإن كان في نظره ضعيفًا، فقد يكون قويًّا في نظر غيره، ويتعين هذا إذا اختار هو القول الأحوط، أو الأشد، فيلزم الإشارة إلى الرأي الأيسر.

ومن فوائد هذا: التعريف بأن المسألة فيها أكثر من رأي أو وجهة نظر، فالمختَلَف فيه غير المجمع عليه، وذكر هذا في هذا المقام خاصة من الأمانة العلمية.

ومن ناحية ثانية، فالأمور الاجتهادية القابلة لتعدد الأنظار، واختلاف الاجتهادات، لا يجوز أن يعتبر من أخذ بوجهة منها مرتكبًا لإثم يُنكر

QaradawiBooks.com

على صاحبه، ولهذا قالوا: لا إنكار في المسائل الاجتهادية. يعنون الإنكار الذي يحمل معنى «التأثيم». أما الذي يحمل مجرد البيان والإرشاد، فلا حرج فيه.

وأمر ثالث، وهو الإبقاء على الضمير الديني عند من يعملون على خلاف الرأي الأحوط أو الأشد أو المشهور، وهو ما لاحظه الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمد مصطفى المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ، حين تبنى أقوال الإمام ابن تيمية وبعض السلف في قضايا الطلاق وغيرها من الأحوال الشخصية، فإن الناس يحلفون بالطلاق كل يوم، وخصوصًا الباعة والعامة، ويحنثون ويظنون أن طلاقهم واقع، وأنهم يعيشون مع نسائهم في حرام وأن ذريتهم منهن أولاد حرام، ومثل هذا الاعتقاد يفسد ضمائرهم، ويجرئهم على الحرام الصرف المقطوع به. فلماذا لا نفتيهم بالمذهب الميسر عليهم، وبذلك نُبقي عليهم ضمائرهم واعتقادهم أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام؟

ومثل هذا يُقال فيمن يُفتي بتحريم حلق اللحية تحريمًا قاطعًا، بل يُحرِّم أخذ أي شيء منها، وجماهير المسلمين تفعل ذلك.

وكذلك من يُفتي بتحريم إطالة الثوب إلى أسفل من الكعبين، واعتبار فاعله في النار، وجماهير الأمة الإسلامية واقعة في ذلك، كما هو مشاهد.

ومثله من يفتي بتحريم بيع الذهب المصنوع «الحلي» بأجل، معتبرًا أن الذهب كله ـ حتى المصنوع منه ـ نقود، وأن الصنعة لم تضف إليه شيئًا، ولم تخرجه من «الثمنيَّة» إلى «السِّلْعية»، وعلى هذا يحرم بيعه وشراؤه إلى أجل، كما يفعل كثيرون اليوم، حيث يشترون هدايا العرس، أو ما يسمونه «الشَّبْكة» ونحوها، ويدفعون بعض الثمن، ويؤجلون بعضه.

QaradawiBooks.com

فإذا افترضنا أن الفقيه اختار الرأي الأثقل، فينبغي في رأيي أن يشير إلى الرأي الآخر. ولا يحمل الناس علـى رأي واحد، فتكون فتنة، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه؛ معللًا رفضه حمل الناس على «الموطأ».

ولا يعني التيسـير فيما تعم به البلوى أن نُحلَّ المحرمات المقطوع بها، مثـل الرِّبـا، أو الخمر، أو المخـدرات، ونحوها، ممـا جاءت به نصوص محكمـات، لا يجوز إهمالهـا أو التلاعب بهـا، اتباعًا لأهواء الناس. فقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

وهناك أمران على جانب كبير من الأهمية في مجال التيسير، وهما:

٧ ـ رِعاية المقاصد:

رعاية مقاصد الشـريعة الكلية في تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، ودرء المفاسد والشرور عنهم، بحيث لا نعطل المقصد الكلِّي بسبب نصٍّ جزئي؛ بل نوازن بينهما.

٨ ـ تغيير الفتوى

وتطبيق القاعدة الشـهيرة «تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، والحال والعُرف»، وعدم الجمود على ما سطره أهل الفقه، مما كان مناسبًا لبيئاتهم وأزمانهم، ولم يعد ملائمًا لعصرنا ولا بيئاتنا. وقد أعطتنا الشريعة ـ بمرونتها وسعتها ويُسرها ـ الحق في أن نجتهد لزماننا، كما اجتهدوا رضي الله عنهم لزمانهم.

ولكنا أرجأنا الحديث عن هذيـن الأمرين، لندخله في الحديث عن أصول الفقه الميسر، في الكتاب التالي إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

تحقيق هدفين معًا:

وبهذه الخطوات التي شرحناها في تيسير الفقه للفهم، وتيسير الفقه للعمل، نكون قد حققنا هدفين نشـــدناهما: هدف تيسير الفقه من ناحية، وهدف تحديثه وجعله معاصرًا من ناحية أخرى.

فتيســـير الفقه للفهم والإفهام يجعله أقرب إلى طبيعة العصر، الذي يحاول أن يقرب كل ألوان المعرفة للناس بمختلف الأساليب، كما يجعله أقرب إلى التعبير عن قضايا العصر ومشكلاته الكثيرة التي تقتحم حياة الناس، وتجعلهم يتســـاءلون عن حكمها الشرعي، وكيف يتعاملون معها في ضوء التزامهم بدينهم.

كما أن تحديث الفقـــه أو «عصرنته» ـ إن صح التعبيـــر ـ يقربه إلى الناس، ويجعله مقبولًا لديهم مفهومًا لهم، وبهذا يتيســـر فهمه، ويتيسر العمل والالتزام به، دون حَرَج ولا إعنـــات. وما جعل الله في هذا الدين من حرج.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

معالم منهجي الفقهي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

معالم منهجي الفقهي

هذا بيان وتفصيل بالمعالم الأساسية لمنهجنا الفقهي الذي تبنيناه، نلخصه للقارئ في النقاط التالية:

١ ـ فرغم إيماني بأن الفقه المنشود لإصلاح الأمة هو الفقه «بالمعنى القرآني» وهو ما يشمل فقه آيات الله في الكون وسننه في الخلق والمجتمع، وإيماني بأن الثقافة الإسلامية وحدة متماسكة، يتصل بعضها ببعض... رغم هذا رأيت أن نمضي في الفقه بمعناه الاصطلاحي، بما يضم: فقه الفرد وفقه الأسرة وفقه المجتمع وفقه الدولة وفقه العلاقات الدولية، وإن شئنا قلنا: فقه العلم والعبادة، وفقه الحلال والحرام، وفقه الأسرة (الأحوال الشخصية)، وفقه المعاملات، وفقه القضاء والشهادات والدعاوى ونحوها، والفقه الجزئي الذي يعالج الجرائم والعقوبات النصية (الحدود والقصاص) والتعزيرية، وفقه السياسة الشرعية الذي يشمل قضايا الفقه الدستوري وفقه السياسة المالية، وفقه العلاقات الدولية، وما يتعلق بذلك.

أما «الفقه الأكبر» كما سماه الإمام أبو حنيفة، وهو «فقه العقيدة» فأولى به أن يُطرح مستقلًا، وإن كان يمكن أن يوضع في فقه الإسلام الكلي، ويُبدأ به، كما فعل ابن حزم في «المحلى» والغزالي في «الإحياء».

QaradawiBooks.com

٢ ـ يدخل في هـذا الفقه: فقه الآداب الشـرعية مثـل: أدب الأكل والشـرب، أدب التـزاور، أدب التحيـة، أدب المشـي والطريق، أدب المجالس، أدب الحديث... ونحوها.

ولا يدخل فـي ذلك: الأخـلاق بمعناها الرباني مثـل: الإخلاص، والتوكل، والشـكر، والصبر، والـورع والزهد، والمراقبة والمحاسـبة، والخوف والرجـاء.. إلخ، ومعناها الإنسـاني، مثل: الصـدق، والأمانة والعدل والإحسان والشجاعة والعزة والتواضع والحياء... إلخ. فهذه قد خصصنا لها سلسلة بعنوان «فقه السلوك» وأصدرنا فيها أربعة كتب هي: الحياة الربانية والعلم، والنية والإخلاص، والتوكل، والتوبة إلى الله، ولا تزال السلسلة مستمرة بتوفيق الله.

٣ ـ لا نعتمد في هذا الفقه تقليد مذهب معين ـ نوجب على أنفسـنا اتباعه ـ ونعرض عن المذاهب الأخرى وأقوال الصحابة والتابعين والأتباع وغيرهم ممن ليس لهم مذهـب متبوع ولا منقرض، فلم يلزمنا الله تعالى ولا رسـوله اتباع مذهب فلان أو علان، إنما ألزمنا اتباع الكتاب والسنة، وما انبثق عنهما من أدلة؛ كالإجماع والقياس، والاستصلاح وغيرها.

وتحررنـا مـن التقليد والعصبيـة المذهبيـة لا يجعلنـا نطعن في المذاهب، بل نحن نحترمهـا كلها، ونحب أئمتها كافة، ونسـتفيد منها جميعًا؛ من اجتهاداتها وتخريجاتها وتعليلاتها وتطبيقاتها، متخيِّرين منها ما هو أرجح دليلًا، وأوفق للزمان والمكان، وأليق بتحقيق مقاصد الدين ومصالح الدنيا.

٤ ـ أصول هذا الفقه هي الأصـول المعتمدة لدى جمهور الأمة، مع وقفات تجديدية وترجيحية في بعض القضايا أشـرنا إليها في موضعها

QaradawiBooks.com

فيما سبق. كما نُعنى بالرجوع إلى المتقدمين أكثر من المتأخرين، سواء في الأصول أم في الفقه، فهم أوضح فكرة، وأسلس عبارة، وأدنى إلى التيسير، وأبعد عن التعسير. كما يتجلى ذلك في فقه الصحابة، ويقرب منهم تلاميذهم من التابعين.

٥ ـ وكذلك نهتم غاية الاهتمام بـ«مقاصد الشريعة»؛ لأننا نؤمن بأن أحكام الشرع بصفة عامة معللة، ولها أهداف تقصد إليها، خلافًا للظاهرية الذين خالفوا جمهور الأمة في ذلك.

ولكن مقاصد الشرع إنما تعرف باستقراء نصوصه في محكم القرآن وصحيح السنة، وليس باتباع الأهواء، أو تحريف الكلم عن مواضعه، أو محاولة مسخ الإسلام وإخراجه من طبيعته ووسطيته وتميزه؛ ليتبع سنن غيره من الملل والنحل والفلسفات شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع.

والمنهج الذي ارتضيناه هو التوفيق العادل بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، فلا نضرب هذه بتلك، ولا نعمل طرفًا على حساب آخر. وهذه هي «الوسطية» التي نؤمن بها ولا نحيد عنها.

فلسنا مع عبيد الفكر الغربي، الذين يريدون أن نمحو النصوص، بدعوى العمل بمقصد الدين وروح الإسلام، ومجاراة التطور، ونحن نقول لهؤلاء: لماذا تطالبون الإسلام أن يتطور، ولا تطالبون التطور أن يسلم؟!

إن هناك منطقة فسيحة جدًّا في الشريعة الإسلامية، قابلة للتجديد والاجتهاد والتطور في الأحكام، وهي ما قام على أدلة ظنية في ثبوتها أو في دلالتها أو فيهما معًا، وهي المنطقة الأوسع مساحة في الفقه الإسلامي ـ كما هو معلوم للدارسين ـ وهي معترك الآراء ومجال الاختلاف.

QaradawiBooks.com

وهناك منطقة أخرى، لا تقبل التطور ولا الاجتهاد، فهي مغلقة، وهي التي قامت على نصوص قطعية الثبوت والدلالة، وهي منطقة ضيقة جدًّا، ولكنها مهمة جدًّا؛ لأنها تجسد «الثوابت» التي تمثل الوحدة الفكرية والشعورية والعملية للأمة، ومنعها من الذوبان في غيرها، أو التفكك إلى أمم متباينة.

٦ ـ مصادرنا تتمثل في كتب الفقه بكل مذاهبه، وكتب الفقه العام، وفي كتب التفسير وخصوصًا ما يعنى بالأحكام، وفي كتب الحديث وشروحه، وخصوصًا ما يتعلق منها بالأحكام، مثل كتب الإمام الطحاوي الحنفي، والإمام البيهقي الشافعي، «ومنتقى الأخبار» لابن تيمية الجَد، و«بلوغ المرام» لابن حجر، و«عمدة الأحكام» للمقدسي، وشروحها للشوكاني والصنعاني وابن دقيق العيد، وكذلك الكتب التي تعنى بأقوال الصحابة والتابعين والأتباع، مثل: مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ومصنف ابن أبي شيبة وغيرهما، وسنطبق هنا ما نادينا به من قديم من «الوصل بين الفقه والحديث» وإزالة الجفوة بينهما.

ونحن هنا ننظر أساسًا إلى القول ولا ننظر إلى قائله، ونركز على ما يستند إليه من حجة واعتبار شرعي صحيح. فقد نأخذ بقول ضعّفه من قبلنا، ولكن جدّ ما قوّاه، ونشهر قولًا كان مهجورًا، ولكنه أصبح صالحًا لزماننا.

٧ ـ ونحاول في هذا الكتاب ـ رغم أنه مكتوب لجمهور المثقفين وليس للمتخصصين وحدهم ـ أن يكون كتابًا علميًّا حقًّا، فلا نصدر حكمًا إلا بدليله من الشرع أو العقل المهتدي بالشرع، ولا بد من توثيق الأدلة، بنسبة الآية إلى سورتها وذكر رقمها، وتخريج الحديث وبيان

QaradawiBooks.com

درجته باختصار، وبيان مصدره، ولا نكتفي بقولنا رواه أحمد أو أبو داود وابن حبان، وقد التزمنا ألا نعتمد على حديث ضعيف، فهو مرفوض في الأحكام بإجماع.

وإنما عمدتنا الحديث الصحيح أو الحسن، ولو ذكرنا حديثًا دون ذلك فإنما هو للاستئناس لا للاستشهاد، ويكون الاعتماد على غيره من النصوص أو القواعد والمقاصد.

٨ ـ نجتهد في ربط الحكم بحكمته التي توخاها الشارع من ورائه، دون تكلف ولا افتعال، فنحن نؤمن أن وراء كل حكم حكمة قصدها الشارع، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وعلينا أن نكون حذرين من التعليلات الشاذة والغريبة، والتعليلات القاصرة، كما نجتهد في ربط الأحكام بعضها ببعض، حتى تتضح الصورة الكلية للشريعة، أما أخذ الحكم منفصلًا عن غيره، فقد يؤدي إلى ظلم الشريعة، وعدم فهمها على وجهها.

٩ ـ هدفنا في هذا الكتاب هو «تيسير الفقه» للمسلم المعاصر. وقد بينا «شرعية» هذا التيسير، وأساسها النظري من القرآن الكريم والحديث الشريف، وشدة حاجة الناس إلى التيسير في عصرنا خاصة، وذلك حتى نحبب الله تعالى إلى خلقه، ونسهل تكاليفه عليهم، في زمن غلبت فيه المادية والنفعية، وكثرت فيه المغريات بالفساد، والعوائق عن الإصلاح.

وقد شرحنا المراد بـ«التيسير» هناك، سواء كان تيسيرًا في العرض والتناول حتى يسهل فهم الشريعة، أم كان تيسيرًا في الأحكام حتى يسهل العمل والالتزام بها، من حيث العناية بالرخص، والتضييق في الإيجاب والتحريم، وترجيح الأيسر لا الأحوط لعموم الناس، والتيسير فيما تعم

QaradawiBooks.com

به البلوى، ورعاية الضرورات والظـروف المخففة.. إلخ، وقد وضحناه بالتفصيل فليُرجع إليه.

وليس المراد بالتيسـير لَي أعناق النصوص ليًّا، لإسقاط واجب، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، فهذا تحريف، لا تيسير.

١٠ ـ الفقه الحقيقي هـو الذي يجيب عن تسـاؤلات الناس، ويحل مشكلاتهم في ضوء أحكام الشريعة، وليس الذي يعيش في بطون الكتب والمراجـع، أو يحيا أهله فـي صومعة منعزلة عن الناس. لهذا السـبب سـنجتهد أن نربط فقهنا بواقع العصر، وحياة النـاس، وتيارات الثقافة، والاقتصاد والسياسـة وغيرها من المؤثرات في حياة البشر، وسنضرب صفحًا عن الأمور التي لم يعد لها وجود فـي عصرنا، مثل «الرق» وما يتصل به، وسـنعمل قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمـان والمكان والعرف والحال. وسنأخذ من فقه علمائنا السابقين ما ينفعنا في هذا المجال دون أن نلتزم به دائمًا، فهم قد أحسنوا حين اجتهدوا لزمنهم وبيئتهم، ونحن نحسن حين نجتهد لزمننا وبيئتنا.

وهذا هـو ما اعتمدناه فـي كل ما كتبنـاه في الجانـب الفقهي من «الحلال والحرام» إلـى «فقه الزكاة» و«بيع المرابحـة» و«فوائد البنوك» و«فقـه الصيـام» و«الفتـاوى المعاصرة» و«فقـه الدولة في الإسـلام» و«السياسة الشرعية».

١١ ـ لن نقصر اهتمامنا على «جسم الفقه» وحده، بل نعني بـ«روحه» أيضًا، فلا نركز عنايتنا على الجانب المادي والشكلي والظاهري وحده، بل نُعنى بالـروح والجوهر والباطـن. وبهذا يتعانق الظاهـر والباطن، والشكل والجوهر، والمادة والروح، والدنيا والآخرة.

QaradawiBooks.com

بل هذا الجانب في الواقع هو الألصق بحقيقة الدين، الذي مهمته أن يصل الناس بربهم، ويذكرهم بمصيرهم وجزائهم، ويجعل نجاتهم منوطة بقلوبهم لا بجوارحهم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث الصحيح: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[(١)] رواه مسلم.

وبهذا يكون الفقه خيرًا على صاحبه، وينطبق عليه الحديث الصحيح: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[(٢)].

١٢ ـ لن نلتزم في كتابنا هذا ـ دائمًا ـ بتقسيم فقهائنا الأقدمين، فقد نزيد وقد نحذف، وقد نقدم وقد نؤخر، وقد نطيل في بعض ما قصروا فيه وقد نقصر في بعض ما أطالوا فيه، حسب أهمية الموضوع، ومدى الحاجة إليه.

ولذا سنبدأ بـ«العلم» لا بـ«الطهارة» ونبحث في «الطهارة» أمورًا لم يبحثوها فيها عادة، ونضيف إلى «العبادات الركنية» ـ من الصلاة والزكاة والصيام والحج ـ عبادات أخرى مثل الذكر والدعاء، وتلاوة القرآن، ونشير إلى العبادات الباطنة، مثل المراقبة والمحاسبة والتوكل ونحوها.

وسنطيل في أشياء ذكروها تبعًا، أو أهملوها أصلًا مثل: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر« أو «الحسبة» ونحوها مما أخرجها بعضهم عن الإطار العام للفقه وأفردوها بالتأليف.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وابن ماجه الزهد (٤١٤٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الكسوف (١٠٣٧)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

١٣ ـ سنتخير اللغة الواضحة السلسة العذبة، متجنبين اللغة المعقدة، والمصطلحات الوعرة، وغموض متون الفقه، التي كانت تبالغ في الإيجاز إلى حد الإلغاز، ليحفظها الطلاب، متحرين أن نجمع ما استطعنا بين دقة الفقيه، وإشراقة الأديب، وحرارة الداعية، فنحن نريد كتابنا هذا لتعليم الأحكام، كما نريده للدعوة إلى الإسلام، فهو كتاب علم ودعوة معًا.

وبالله التوفيق، وهو وحده الهادي إلى أقوم طريق.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

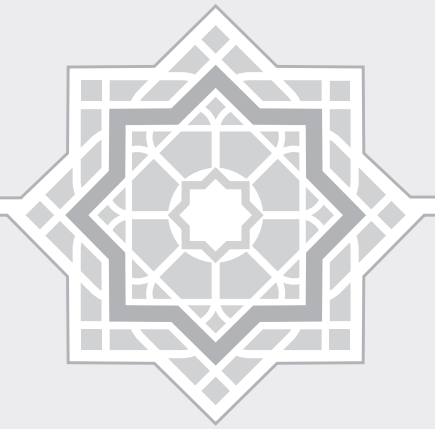

فقـه العلـم

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فقه العلم

لماذا بدأنا بالعلم؟

جرت عادة فقهائنا من قديم أن يبدؤوا مصنفاتهم الفقهية بكتاب «الطهارة»؛ سواء كانت الطهارة الحسية: طهارة الثوب والبدن والمكان، أم الطهارة الحكمية، التي تتمثل في الطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء أم من الحدث الأكبر بالغسل.

وذلك لأن الطهارة هي أول شروط الصلاة، والصلاة هي أول العبادات الإسلامية، وأعظمها شأنًا، وأهم الأركان العملية التي بني عليها الإسلام بعد الشهادتين.

ولكننا خالفنا فقهاءنا هنا، وبدأنا بكتاب العلم أو «فقه العلم» لا بـ«فقه الطهارة» مراعين للترتيب المنطقي، فالعلم سابق للعمل، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: العلم إمام والعمل تابعه[1].

العلم هو الذي يبين لنا الحق من الباطل في المعتقدات، والمسنون من المبتدع في العبادات، والصحيح من الفاسد في المعاملات، والحلال من الحرام في التصرفات، والصواب من الخطأ في الأفكار، والمحمود من المذموم في المواقف والأفراد والجماعات.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٨/١)، نشر مكتبة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولهذا كان طلب العلم مقدمًا على طلب العمل. وقال إمام الهدى عمر بن عبد العزيز: من عَمِل على غير عِلم، كان ما يفسِد أكثر مما يصلح[١].

وقال الحسن البصري: العامل على غير عِلم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح. فاطلبوا العلم طلبًا لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بالعلم. فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم، فخرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا[٢].

يعني بهؤلاء الخوارج، الذين لم تكن آفتهم في قصور عبادتهم، فقد كانوا صُوَّامًا قُوَّامًا، حتى جاء في الحديث الصحيح: «**يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم**»[٣]، ولكن آفتهم قصور الفقه، وعدم التعمق في فهم القرآن، فهم يقرؤونه لا يجاوز حناجرهم، أي لا يدخل إلى عقولهم فيضيئها ويهديها.

ولهذا كان تقديم العلم واجبًا، فهو الذي يهدي إلى صالح العمل، كما أنه الذي يهدي إلى الإيمان أيضًا، فالعلم هو دليل الإيمان، كما أرشد إلى ذلك القرآن حين يقول: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤].

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٣٢)، شر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٩/١)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.

(٢) جامع بيان العلم (٥٤٥/١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

هكذا بهذا الترتيب الذي دل عليه العطف بـ«الفاء» الدالة على الترتيب والتعقيب: ليعلموا، فيؤمنوا، فتخبت قلوبهم.. فالعلم يترتب عليه الإيمان، والإيمان يترتب عليه الإخبات والخشوع، ترتب الأثر على المؤثر.

ولأن العلم يسبق الإيمان والعمل، كان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]. أَمَر فيها بالقراءة وكرَّره، والقراءة هي مفتاح العلم، ونوَّه بالقلم وهو أداة نقل العلم وتثبيته.

ثم نزل بعدها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر: ١ ـ ٧]. وكلها آيات آمِرة بالعمل، وهو ترتيب فطري ومنطقي؛ أن يؤمر بالعمل بعد العلم.

وقد ذكر الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه: «باب: العلم قبل القول والعمل». قال الحافظ ابن حجر في شرحه: «قال ابن المنيّر: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يُعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، مصحح للنية، المصححة للعمل»[1].

واستدل البخاري لما ذكره بجملة من الآيات والأحاديث، منها قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. فبدأ بالعلم وثَنَّى بالعمل. والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو متناول لأمته.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٦٠/١)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

ومن هنا رأينا أن نبدأ بـ«فقه العلم»، اهتداء بما أشار إليه القرآن من البداءة بقوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١].

وتأسيًا بما صنعه الإمام البخاري، حيث قدم كتاب الإيمان وكتاب العلم على العبادات، من الطَّهارة والصَّلاة والزَّكاة وغيرها.

ولنا فيما صنعنا سلف أيضًا، هو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، حيث بدأ بـ«العلم» في كتابين له؛ أولهما «إحياء علوم الدين» وهو يشتمل على أربعين كتابًا في العبادات والمعاملات، والمهلكات والمنجيات، وأول هذه الكتب «كتاب العلم». وكذلك فعل في كتابه «منهاج العابدين» فقد جعل العقبة الأولى التي على السالك أن يقطعها في طريقه إلى الله «عقبة العلم».

هذا، وقد أصدرنا عدة كتب تتحدث حول العلم، منها: كتاب «الرسول والعلم» وكتاب: «العقل والعلم في القرآن الكريم» وكتاب «السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة» وكتاب «الحياة الربانية والعلم» فليرجع إليها من أراد الزيادة في المعرفة، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

الحث على التعلم:

من أبرز تعاليم الإسلام الحث على طلب العلم؛ فقد خلق الله الناس غفلًا من العلم، ومنحهم من فضله أدوات العلم ووسائله ليتعلموا، فإنما العلم بالتعلم. وهذه الوسائل هي: الحواس ـ وخصوصًا السمع والبصر ـ والعقل. كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فهذه هي الأدوات الثلاث الرئيسية في التعلم:

السمع: فيما محوره الكلمة، وطريقه النقل.

والبصر: فيما يلاحظ ويشاهد ويجرب، وعلى أساسه قامت العلوم الطبيعية والتجريبية كلها.

والفؤاد أو العقل: فيما يحتاج إلى إعمال نظر، وترتيب فكر، للوصول من المقدمات إلى النتائج، ومن المعلول إلى العلة، ومن المعلوم إلى المجهول.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال الشاعر:

تعلَّم فليس المرء يُولد عالمًا وليس أخو عِلمٍ كمن هو جاهلُ[١]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع**»[٣]. ومعنى وضع أجنحتها له: التواضع والخشوع؛ توقيرًا له وتعظيمًا لحقه، أو أنها تفرشها وتبسطها له، لتحمله عليها حيث يريد، تيسيرًا ومعونة من الله، أو أنها: تكف عن الطيران؛ لأنها تحفه في مجلس العلم، كما ورد في الصحيح.

وقد ورد أن طلب العلم بمنزلة الجهاد في سبيل الله. روى الترمذي عن أنس مرفوعًا: «**من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع**»[٤].

كما تكاثرت النصوص من القرآن والسنة في التنويه بقدر العلم ومكانة العلماء وفضل التعلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

---

(١) ذكره الجاحظ ولم ينسبه في البيان والتبيين (١٨٦/١)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٨٠٩٨)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٥٣٥)، وقال: حسن صحيح. وأبو داود الطيالسي (١٢٦١)، عن صفوان بن عسال.

(٤) رواه الترمذي في العلم (٢٦٤٧)، وقال: حسن غريب، ورواه بعضهم فلم يرفعه. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٨): حسن لغيره.

QaradawiBooks.com

قال الإمام الغزالي: فانظر كيف بدأ سبحانه بنفسه، ثم ثنَّى بملائكته، ثم ثلَّث بأولي العلم[١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

فالخشية ثمرة المعرفة، فمن عرف الله خشيه حق خشيته، بخلاف من يجهل مقام الله، فهو أجدر ألا يخشاه، كالطفل يمسك بالنار فتلسعه؛ لأنه لا يعرفها.

وقال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه**»[٢].

وقال الله تعالى في كتابه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧].

وقال ابن عباس: ذللت طالبًا، فعززت مطلوبًا[٣]!

وقال ابن المبارك: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة[٤]!

وقال بعض الحكماء: إني لا أرحم رجالًا كرحمتي لأحد رجلين: رجل يطلب العلم ولا يفهمه، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه!

وقال أبو الدرداء: لأن أتعلم مسألة أحب إليَّ من قيام ليلة[٥]!

---

(١) إحياء علوم الدين (٥/١).

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، عن عثمان بن عفان.

(٣) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٦٣٥).

(٤) المصدر السابق (٣٠٧).

(٥) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٢/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال: العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس همج لا خير فيهم[١].

وقال أيضًا: كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا، ولا تكن الرابع فتهلك! والرابع هو المعرض عن العلم[٢].

ومما حكي من وصايا لقمان لابنه: يا بني، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل السماء[٣].

التأدب مع المعلم:

ومن آداب التعلم في الإسلام: توقير المعلم، والتأدب معه، حتى اشتهر بين المسلمين قولهم: من علمني حرفًا صرتُ له عبدًا! فقد جاء في الحديث النبوي: «**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا**»[٤]، أي يعرف له حقه.

وقد ذكر لنا القرآن تلك الرحلة التاريخية، التي قام بها نبي من أولي العزم من الرُّسل، وهو موسى الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، ليطلب العلم عند رجل لم يذكر القرآن لنا

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٦١).

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٢١٠)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٣٨١).

(٣) انظر: الإحياء (٨/١).

(٤) رواه أحمد (٢٢٧٥٥)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره دون قوله: «ويعرف لعالمنا». والطحاوي في مشكل الآثار (٣٦٥/٣)، والحاكم في العلم (١٢٣/١)، وقال: ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعي كبير. وقال الذهبي: مالك ثقة مصري. وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٦٤/١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣)، عن عبادة بن الصامت.

QaradawiBooks.com

اســمه، واختلف العلماء في شــأنه: أهو نبي أم ولي؟ وحتى إن كان نبيًّا ـ وهو الصحيح ـ فليس في منزلة موسى قطعًا. ويبدو أن موسى قطع هذه الرِّحلة هو وفتاه ـ خادمه ـ على أقدامهما، فلم يذكر أنهما كانا يركبان دابة، ولذا قال فيها: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

وفي هذه القصة التي قصَّها علينا القــرآن، يتجلَّى لنا بعض الآداب المهمة للتعلم.

أول هذه الآداب: الحرص على العلــم مهما يكن في طلبه من لأواء ومشقة وعناء. كما فعل موسى عليه السلام في رحلته إلى «مَجمع البحرين» وقد لقي فيها ما لقي من النصب.

والأدب الثاني: التلطُّف مع المعلم، وإظهــار الاحترام والتوقير له، وهذا ما نلمســه بجلاء ووضوح في تعامل موســى عليه السلام مــع هذا العبد الصالــح، الذي عرف باســم «الخضر» عليه السلام، فقد قال له موســى بأدب التلميذ مع المعلم: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

والأدب الثالث: الصبر على المعلم، وهذا ما فعله موسى مع معلمه، فحين عرض عليه أن يتبعه ليعلمه مما علمه الله، قال المعلم: ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۞ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۞ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٧ ـ ٧٠].

والأدب الرابع: أن المؤمن لا يشبع من العلم، وأنه يطلب أبدًا الزيادة منه، كما قــال الله لخاتم رســله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طــه: ١١٤]، وهذا ما حرص عليه موسى: أن يضيف إلى علمه علمًا آخر.

QaradawiBooks.com

تصحيح النية: وهنـــاك أدب مهم نبهـــت عليه الســـنة النبوية، وهو تصحيح النيَّة: أن يتعلم العلم يُريد به وجه الله تعالى. وبذلك يغدو طلب العلم عبادة وجهادًا في ســـبيل الله. وفي الحديث الصحيح الشهير: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[١].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[٢] يعني ريحها.

وعن جابر قال: قـــال رســـول الله ﷺ: «**لا تعلَّموا العلـــم لتباهوا به العلماء، ولا تماروا به السفهاء، ولا تَخَيَّروا به المجالس، فمن فعل ذلك، فالنار النار!**»[٣].

العلم من المهد إلى اللحد:

والتعلم أو طلب العلم في الإسلام لا يقف عند حد معين، ولا عند سن معينة، وقد اشـــتهر عند المســـلمين هذه الحكمة: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد»، حتى ظنها بعض الناس حديثًا نبويًا، وما هي بحديث، ولكنها من مأثور التراث الإسلامي.

---

(١) رواه الجماعة: البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، وأبو داود في الطلاق (٢٢٠١)، والترمذي في الجهاد (١٦٤٧)، والنســـائي في الطهارة (٧٥)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٧)، عن عمر بن الخطاب.

(٢) رواه أحمد (٨٤٥٧)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في العلم (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة (٢٥٢)، وابن حبان في العلم (٧٨)، وصحح النووي إسناد أبي داود في رياض الصالحين (١٣٩١).

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٥٤)، وابن حبان فـــي العلم (٧٧)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٤٧٩)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٦).

QaradawiBooks.com

وكم رأينا من علماء السلف من يطلب العلم، وهو على فراش الموت، فيسأل بعض أصحابه أو أبنائه أن يقرؤوا عليه تفسير بعض الآيات القرآنية، أو يرووا له بعض الأحاديث النبوية، أو يذكروا له بعض المسائل الفقهية أو النحوية أو اللغوية، أو نحو ذلك، حتى يأتيه الموت، وهو يطلب العلم.

وكم رأينا من الشيوخ الكبار في السن والكبار في العلم، من يطلب العلم لا يستحيي من شيخوخته، ولا يستحيي من مكانته، ولا يجد في ذلك غضاضة ولا حرجًا، ليحقق الحديث الشريف: «**منهومان لا يشبعان؛ طالب علم، وطالب دنيا**»[1].

وقد حكى لنا الحافظ ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم» في هذا الجامع صورًا ووقائع شتى.

ولهذا كان أئمة الإسلام إذا قيل لأحدهم: إلى متى تطلب العلم؟ يقول: إلى الممات.

قال نعيم بن حماد: سمعت عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يقول ـ وقد عابه قوم في كثرة طلبه للحديث ـ فقالوا له: إلى متى تسمع؟ قال: إلى الممات.

وقال محمد بن إسماعيل الصائغ: كنت أصوغ مع أبي ببغداد، فمر بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو، ونعلاه في يديه، فأخذ أبي بمجامع ثوبه، فقال: يا أبا عبد الله، ألا تستحي، إلى متى تعدو مع هؤلاء؟ «يعني طلبة العلم»! قال: إلى الموت.

(١) رواه الحاكم في العلم (٩١/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (٩٧٩٨)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وقال عبد الله بن بشر الطالقاني: أرجو أن يأتيني أمري، والمحبرة بين يدي، ولم يفارقني العلم والمحبرة!

وسئل أبو عمرو بن العلاء: متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ قال: ما حسنت به الحياة!

وقيل لأحدهم: أيحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان الجهل يقبح منه، فإن التعلم يحسن به.

وسُئل سفيان بن عيينة: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ قال: أعلمهم؛ أن الخطأ منه أقبح.

وقيل للمأمون: أيحسن بالشيخ أن يتعلم؟ فقال: إن كان الجهل يعيبه، فإن التعلم يحسن به.

وسئل الحسن عن الرجل له ثمانون سنة: أيحسن أن يطلب العلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش[1].

* * *

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٧٤/١)، وجامع بيان العلم (٤٠٦/١، ٤٠٧) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

العلم المفروض طلبه فرض عين

من العلم ما يُفترض طلبه، ومنه ما يُستحب طلبه، ومنه ما يُباح، ومنه ما يُذم.

والعلم المفروض طلبه، منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية.

وفي الحديث المشهور على الألسنة، الذي رواه ابن ماجه وغيره: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[1].

والمراد بالمسلم في الحديث: الإنسان المسلم، رجلًا كان أو امرأة. ولهذا أجمعوا على أن الحديث يشمل كل مسلم ومسلمة، وإن لم يرد لفظ: «ومسلمة» في رواية الحديث.

وقد اختلف شراح الحديث في تحديد «العلم» المفروض طلبه، فكل صاحب اختصاص في علم أَوَّله على العلم الذي يشتغل به.

فالمتكلِّم (المتخصص في علم الكلام والعقائد) قال: هو علم العقائد الذي يُعرف به توحيد الله، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذا أساس الدِّين.

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

والفقيه قال: هو علم الفقه الذي يُعرف به الحلال والحرام، وتُعرف به صحة العبادات واستقامة المعاملات، على منهج الشرع.

والمفسِّر قال: هو علم تفسير كتاب الله، الذي هو أساس الملة، ومرجع الأمة.

والمحدِّث قال: هو علم الحديث المبين للقرآن، المجسِّد لسيرة الرسول ﷺ، وأقواله وأعماله وتقريراته.

والمتصوف قال: هو علم طريق الآخرة، والسلوك إلى الله تعالى، وكيفية تزكية النفس، وعلاج مداخل الشيطان إليها... إلخ.

والأصولي قال: بل هو علم أصول الفقه، الذي به يُعرف الاستدلال فيما فيه نص، والاستنباط فيما لا نص فيه.

بل هناك من قال: علم العربية من النحو والصرف والبلاغة، التي بها يُفهم القرآن والحديث.

بل هناك من قال: هو علم الطب الذي يعرف به الصحة والمرض، وقال: العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان، وعلم الأبدان مقدم على علم الأديان. ذكره بعضهم، وفيه نظر، كما ذكر الزبيدي في شرح «الإحياء» وإيراده في فروض الكفايات أشبه[1].

رأينا في العلم المفروض على كل مسلم:

والذي أراه هنا أن بعض هذه الأقوال خلطت بين العلم المفروض طلبه على كل مسلم ومسلمة، وهو ما يسمى «فرض العين» وبين العلم

(١) راجع: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (١/٢٢٣ ـ ٢٢٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

المفروض «فرض كفاية». فعلم التفسير والحديث وأصول الفقه وعلوم العربية، بل وعلم الطب: لا بد منها، على مستوى الأمة، لا على مستوى الأفراد. فهي من فروض الكفاية لا ريب. وفروض الكفاية هي: ما لا تستغني عنها الأمة في مجموعها، ولا بد أن يقوم بها عدد كافٍ من أبناء الأمة يسد الثُّغرة، ويلبي الحاجة، وإلا أثمت الأمة كلها.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

تعلم أصول التوحيد والعقيدة

والذي نؤكده هنا أن على المسلم أن يتعلم من دينه ما يعرف به ربَّه معرفة تصل إلى حد اليقين، ويعرف به نبيَّه محمدًا ﷺ، ويستيقن بصدق نُبوته، وصحة رسالته، وأن القرآن الكريم مُنَزَّل عليه من عند الله تبارك وتعالى، بدلائل الإعجاز القرآني الكثيرة. ويعرف العقائد الأساسية في الإسلام: في الإلهيات، والنبُوَّات، والغيبيات المتعلقة بالآخرة والعالم غير المنظور، وأن يأخذ ذلك أساسًا من كتاب الله تعالى بما فيه من بيّنات تُقنع العقل، وتُنير القلب، بعيدًا عن التقليد الأعمى، وعن المماحكات الجدلية التي شاعت في علم الكلام، والتي أفسدت تفكير الخواص، واعتقاد العوام. وسر ذلك: تأثرها بفلسفة اليونان. ولهذا نادى المحققون والمجددون المسلمون بوجوب «ترجيح أسلوب القرآن على أساليب اليونان»[1].

والمطلوب هنا: أن تكون دراسة العقيدة مبنية على أساسين:

١ ـ القرآن الكريم، لا على أنه يتضمن أخبارًا وأدلة نقلية فحسب، بل بما يتضمنه وما ينبه عليه من براهين، لإثبات التوحيد والنبوة، والجزاء

(١) وهو اسم كتاب بهذا العنوان للعلامة ابن الوزير اليمني (ت: ٨٤٠هـ).

QaradawiBooks.com

الأخـــروي، وغيرها، فقـــد أنزله الله هُـــدًى للناس، وبينـــات من الهدى والفرقان، وقد ناقش الطوائفَ المخالفة من الملاحدة والمشركين وأهل الكتاب، وردَّ عليهم بالأدلة العقلية، التي سماها القرآن «البينات».

والسُّـــنة النبوية مبينة لكتاب الله، فيؤخذ من السنن الصِّحاح ما يبين القرآن، وما يسير في ضوئه.

٢ ـ العلوم الكونية الحديثة، بما تكشف للناس من أدلة تُعين الناس ـ وخصوصًا المرتابين والمتشككين ـ على الوصول إلى اليقين في وجود الله تعالى وفي وحدانيتـــه، وإبداعه في كونه، وإحســـانه لخلقه، وتقرب منهم الحقائق الدينية مـــن النبوة وأمور الآخرة، بمـــا يحمله الكون من براهيـــن ناصعة، تحقق وعـــد الله تعالى في قولـــه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

تعلم ما لا بد منه من الفقه والأحكام:

كما أن على المسلم أن يتعلم من أحكام الإسلام وشرائعه ما هو في حاجة إليه، من علم الطهارة، والصلاة اليومية ـ وهي الصلوات الخمس ـ والصلاة الأســـبوعية وهي صلاة الجمعة الواجبة على الرجال. والمراد: معرفة الأساسيات لا المسائل الغريبة والنادرة، ولا التفصيلات التي تترك للعلماء المتخصصين.

ومثل ذلك علم الصيام عندما يجيء رمضان، ومثله علم الزكاة عندما يملك نصابها، ويتعلم من أنـــواع الزكاة ما هو مفتقر إليه، فإن كان تاجرًا تعلم زكاة التجارة، وليس مطالبًا بمعرفة زكاة الأنعام أو الزروع والثِّمار، وإذا قدر على الحج وعزم عليه عرف أهم أحكامه.

QaradawiBooks.com

كما عليه أن يعرف أهم أحكام الحلال والحرام التي يتعرض لها المسلم في حياته: في المأكل والمشرب، والملبس والزِّينة، والبيت والعمل، وحياة الأسرة والمجتمع[١].

وعلى كل مسلم أن يعرف ما يخصه من أحكام، فالوالي يعرف أحكام الولاية، والتاجر يعرف أحكام التجارة، والطبيب يعرف أحكام الطب، والزوج يعرف حقوق الزوجية وواجباتها، وكذلك الزوجة، والأب يعرف أحكام الأبوة والبنوة، وكذلك الأم، وهكذا.

وعلى كل مسلم أن يعرف من علم الأخلاق والآداب الشرعية ما يضبط به سلوكه بضوابط الشرع، فلا يحيد عما أمر الله به، ولا يتجاسر على ما نهى الله عنه، متحليًا بالفضائل، متخليًا عن الرذائل.

التمذهب ليس بلازم شرعًا:

ولا يلزمه أن يتبع مذهبًا معينًا من المذاهب الأربعة أو غيرها؛ لأن اللازم شرعًا ما ألزم به الله ورسوله في الكتاب والسُّنة، ولم يلزم الله ولا رسوله باتباع أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد، أو جعفر أو زيد، أو غيرهم. فمن التزم بمذهب أحدهم فقد ألزم نفسه ما لا يلزم، وضيَّق على نفسه في أمرٍ وسَّع الله فيه. وخصوصًا إذا كان من أهل العلم، ويمكنه أن يبحث عن الحكم بدليله، فلا ينبغي لمثله أن يرضى بالتقليد، فقد أجمع العلماء المتقدمون على أن «العلم» هو معرفة الحق بدليله، وأن التقليد المطلق ليس علمًا!

(١) وقد بينا ذلك في كتابنا: الحلال والحرام في الإسلام، الذي طبع أكثر من خمسين طبعة بالعربية، وترجم إلى عشرات اللغات بحمد الله.

QaradawiBooks.com

وإذا بحث العالم المستقل في أصول المذاهب، ووازن بينها، وارتضى أصول مذهب معين؛ لأنه رآها أصوب وأرجح، فلا حرج عليه في ذلك، ولا يكون مقلـدًا لإمام ذلك المذهـب، بل وافق اجتهـاده اجتهاد ذلك الإمام. وقد يدع مذهبه إلى غيره في بعض المسائل إذا أعوزه الدليل.

والأصـل أن العامي لا مذهب له، إنما مذهبـه مذهب من يفتيه من العلماء الذين يسألهم. فقد يسـأل في قضية زيدًا وفي أخرى عمرًا، وفي ثالثة بكرًا، وهـذا ما كان عليـه الناس فـي عهد الصحابـة والتابعين وأتباعهم، يسألون فيما يعن لهم من أمور مَن تيسر لهم من ثقات العلماء، ولا يلتزمون بواحد فقط يخصونه بالسـؤال دون غيره. ولهذا لم يعرف «التمذهب» في عصرهم ﷺ. وهم القوم الذين يُقتدَى بهم فيُهتدَى، فهم خير قرون الأمة على الإطلاق، كما صحت بذلك الأحاديث.

وإنما كان العامـيُّ لا مذهب له؛ لأن اختيار مذهـب معين يقتضي معرفة أصوله، والموازنة بينها وبين أصول غيره، وترجيحها على سواها، وهذه المعرفة والموازنة والترجيح لا يملكها العامي، إنما يملكها العالم الذي بلغ قدرًا من النظر والاختيار، وعنده أهلية الترجيح.

وقد يُقبل من الشـخص العامـي أن يتبع مذهبًا مـن مذاهب الأئمة المعروفين إذا لم يجد في بلده غيره، كأن ينشأ في بلد كل أهله حنفية أو مالكية، أو شـافعية أو حنبلية، فيتمذهب بمذهب علماء أهل بلده، على ألا يتعصب له بالحق وبالباطل، وإذا نصحه ناصح أمين من ثقات العلماء أن مذهبه ضعيف في هذه المسألة، واطمئن إليه قلبه، فلا حرج عليه أن يدع مذهبه في هذه القضية ويأخذ بالمذهب الراجح، وهذا ما يسُرّ إمامه الذي يدَّعي اتباعه.

QaradawiBooks.com

ولا يجوز لمن قلَّد مذهبًا معتبرًا أن يذم المذاهب الأخرى أو يطعن في أئمتها، فكلهم مجتهدون في معرفة الحق والوصول إلى الصواب بقدر الاستطاعة وبذل الجهد، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وهذا من فضل الله. كما أنهم جميعًا أئمة في تقوى الله تعالى، وفي الغيرة على الإسلام، والشجاعة في الحق، وإيثار الآخرة على الأولى، كما تشهد بذلك سيرهم ومواقفهم رضي الله عنهم.

تعلم أصول السلوك لطريق الآخرة:

وعلى كل مسلم أن يعرف من علم طريق الآخرة، والسلوك إلى معرفة الله تعالى ومحبته وتقواه: ما يساعده على السَّير في الطريق، ويعينه على معرفة أمراض الأنفس وسبل علاجها، ويعرف مداخل الشيطان إلى القلب، ويقوي البواعث الخيِّرة في نفسه، حتى يزكي نفسه ويفلح. كما قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا**﴾ [الشمس: ٩] ويترقى حتى يصل إلى درجة الإحسان الذي عرفه النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(١)].

ويجب الحذر مما دخل هذا العلم من شوائب ومبتدعات، كدرت صفاءه، وأخرجته عن وسطية الإسلام في الجمع بين الدنيا والآخرة، والمزج بين المادة والروح، والتوفيق بين العقل والقلب، والموازنة بين المثال والواقع.

وينبغي الاعتماد هنا على أئمة السُّلوك المتقدمين، الذين يعتمدون في تربيتهم وتوجيههم إلى الكتاب والسُّنة، والحذر من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وهذه هي العلوم التي يجب على كل مسلم معرفتها، وهي ـ كما قلنا ـ موصولة بالكتاب والسنة، فمعرفة هذه العلوم تتضمن معرفة ما يلزم المسلم من التفسير والحديث.

علوم مكملة:

وهناك علوم مكملة ينبغي للمسلم أن يلم بها، مثل معرفة «السيرة النبوية» من كتاب معتمد على الأقل، ودراسة شيء من «علوم القرآن» و«علوم الحديث» أو مصطلحه في كتب ميسرة. وإذا تعمق في العلم قرأ شيئًا من «أصول الفقه»، على أن تدرس هذه كلها في كتب ميسرة، بلغة سهلة معاصرة، والأولى بالمسلم أن يقرأ هذه العلوم على عالم متمكن ثقة، حتى لا يقع في أفهام خاطئة وهو لا يدري، ولا يجد من يصحح خطأه، وهذا ما حذر منه سلفنا الصالح حين قالوا: لا تأخذ العلم من صُحُفي، ولا القرآن من مصحفي. يعنون بالصحفي: الذي تعلم من الصحف أي الكتب وحدها، ولم يتلقَ العلم من أهله وشيوخه، بحيث يحضر ويسأل ويناقش ويفهم، ويعنون بالمصحفي: الذي يتعلم القراءة من المصحف وحده، دون أن يأخذها على يد القُرَّاء المتقنين، كما تعلمنا نحن القرآن في الكُتّاب على أيدي القرّاء، لوحًا بلوح، نكتبه ونقرأه قبل أن نحفظه ثم نحفظه ونُسمِّعه، ثم نعيده ونثبته مرة بعد مرة. فمثل هذا «المصحفي» إن جاز له أن يقرأ لنفسه، لا يجوز أن يكون مُقرئًا ومعلمًا لغيره.

ثمرة هذا التفقه في الدين:

المهم أن يصل المسلم بمعارفه إلى حد يستطيع به أن يزن أفكاره ومشاعره، وأقواله وأعماله، وعباداته ومعاملاته، وسائر أموره بميزان الشرع، وأن يحكم على الأشخاص والجماعات، والمواقف والسياسات

QaradawiBooks.com

بحكم الإسلام، ومن منطلق الإســلام، بعيدًا عن إفراط الغلاة، وتفريط المقصرين، فعلى أساس الإسلام يحمد ويذم، ومن منظور الإسلام يحب ويكره، ويقترب ويبتعــد، ومن أجله يرضى ويســخط، ويصل ويقطع، ويسالم ويحارب، فما رضيه الشرع رضيه، وما رفضه الشرع رفضه، غير عابئ به ولا آسف عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وبذا يصبح هــواه تبعًا لما جاء به محمد ﷺ، وهذا هو تمام الإيمان.

فرضية تعلم القراءة والكتابة في عصرنا:

ومن المفروض فرض عين في عصرنا «في رأيي واجتهادي» أن يتعلم المسلم القراءة والكتابة، ويزيل عن نفســه وصمة الأمية، فقد أصبحت الأمية عائقًا للأمة عن التقدم والتنمية، وغدا التعلم من أســباب عزتها، وانتصارها على عدوها، وفي ميدان المنافسة الاقتصادية والحضارية في عصرنا لا مكان لأمه أكثرها من الأمِّيين!

ومن القواعد الشرعية المقررة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومن الواجب أن تكون لأمتنا الصدارة والتقدم، وأن تملك أســباب القوة والتفوق، ولا يتــم ذلك إلا بمحو أمية الأمة، وشــيوع التعلم في أبنائها كافة، وبذلك تنافس الأمم الأخرى.

ولقد بدأ النبي ﷺ في محاربة الأمية في حياته من الســنة الثانية من الهجرة، حين جعل فداء الأسير الكاتب أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة، والواجب علينا اليوم أن نكمل المسيرة، وألا نتخلف في السباق

QaradawiBooks.com

الحضاري، وحتى لا تبقى أمتنا في ذيل القافلة، والمفترض أن تكون في مقدمة الركب، باعتبارها خير أمة.

كيف يحصل المسلم العلم المفروض عليه؟

وهنا يطرح سؤال تجب الإجابة عنه، وهو: كيف يستطيع المسلم أن يحصل العلم المفروض طلبه عليه؟ وأي الطرائق أنفع له؟

اختلاف الطرائق باختلاف الحال:

والجواب عن هذا السؤال يختلف باختلاف أحوال المسلم، فالمسلم القارئ المتعلم غير المسلم الأمي.

التعلم عن طريق السماع:

فيستطيع المسلم أن يحصل هذا العلم المفروض عليه، إما بالتلقي والسماع مشافهة من علماء ثقات في علمهم وتقواهم، وحسن فهمهم للدين وللواقع معًا، وهذا ما يلزم الأميين، وليس لهم خيار في غيره. واجتهاد المسلم هنا في اختيار العالم الذي يتلقى منه، ويجب أن يُفرِّق المسلم بين العالم الواعظ الذي يأخذ منه الموعظة والتذكير، والعالم الفقيه الذي يتلقى عنه الأحكام والشرائع، فليس كل واعظ مؤثر، أو خطيب مُفوَّه، أو عالم بالتفسير أو الحديث، يكون ثقة في فقهه وفتواه، فإن الله وَزَّع المواهب والقدرات بين الناس، إلا من وهبه الله الجمع بين هذه الملكات والقدرات، وقليل ما هم. وعوام المسلمين ـ بل كثير من متعلميهم ـ يخلطون في هذا الأمر، فيحسبون الوعاظ البلغاء فقهاء في أحكام الشريعة، فيستفتونهم في أعوص المسائل، ويجيبهم هؤلاء حسب علمهم، فيقعون في أخطاء كثيرة وكبيرة، وهم لا يشعرون، ولو أنصفوا

QaradawiBooks.com

لقالوا لهم: اسألوا غيرنا، فنحن لا نعلم، ورحم الله امرأً عرف حدَّه، فوقف عنده، وقد حذَّر الحديث الصحيح المتفق عليه من الذين يُسألون، فيفتون بغير علم، فيَضلون ويُضلون.

ومن وسائل التثقيف في عصرنا الشريط المسموع (الكاسيت) وهو وسيلة مهمة وسريعة التأثير، ويمكن للإنسان أن يستخدمه وهو في سيارته، أو في محله، أو المرأة في مطبخها، أو غير ذلك دون أن يكلف جهدًا غير الاستماع والتفهم.

ويضاف إلى ذلك في عصرنا ما يبثه التلفاز والإذاعة من برامج دينية، وما يمكن أن يقدم عن طريق جهاز «الفيديو» من أشرطة مرئية ومسموعة.

ويجب على المسلم الواعي أن يتخيَّر ما يسمعه من هذه الأشرطة، فليس كل شريط ديني يحسن سماعه، فبعض هذه الأشرطة أشبه بالأغذية الفاسدة، أو الملوثة بالإشعاع ونحوه، فهي في الواقع تضر أكثر مما تنفع، وتهدم أكثر مما تبني؛ لأنها لا تقوم على علم موثق، وعلى أدلة شرعية صحيحة. كما أن كثيرًا منها يقوم على «المبالغة في الترهيب» من عذاب القبر وعذاب الآخرة، وتبنِّي منهج التعسير لا التيسير، والتنفير لا التبشير، على خلاف ما أمر به النبي ﷺ.

ولقد حكى لي بعض الآباء أن ابنته تقوم من الليل مفزَّعة مرعوبة، وأن ذلك لازمها منذ مدة، وذلك بعد أن سمعت شريطًا مبالغًا فيه عن عذاب القبر، وما فيه من حيات كالأفيال، وعقارب كالبغال، إلى آخر ما يُقال.

ويضاف إلى ذلك في عصرنا شبكة «الإنترنت» وما تقدمه من معلومات عن الإسلام.

QaradawiBooks.com

وهذا يوجب علينا أن نحذر المسلم ألا يأخذ دينه إلا من الثقات المأمونين، الموثوق بعلمهم ودينهم، ولا يؤخذ الدين عن كل من هبَّ ودبَّ.

بل ينبغي للمسلم أن يتحرى ويتوخى الحذر في كل مصدر يتلقى منه الدين، فليس كل ما تخرجه المطابع من الكتب والرسائل موثوقًا به، فكم من كتب مليئة بالخرافات والأباطيل.

ومما ينبغي الحذر منه الإسرائيليات في التفسير، والأحاديث الموضوعة والواهية في الحديث، والحكايات والمنامات غير المعقولة في الوعظ والترغيب والترهيب.

وأُوصي المسلم الذي ينشد الثَّقافة السليمة، ألا يأخذ حديثًا إلا من عالم يعرف الحديث، فليس كل العلماء والوعاظ يعرفون ذلك.

ويحسن بالمسلم أن يقتني كتابًا في الأحاديث المشهورة، مثل «المقاصد الحسنة» للسخاوي أو «كشف الخفا والإلباس فيما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس» للعجلوني، ونحوهما.

التعلم عن طريق القراءة:

كما يمكن للمسلم التعلم بالقراءة والمطالعة لكتب ألفها علماء ثِقات كذلك، وستظل للكلمة المكتوبة قيمتها وأثرها في التوجيه والتثقيف، وهي الأطول عمرًا، والأبقى أثرًا، وينبغي للمسلم أن يتخيَّر الكتب التي يقرؤها عامة، والتي يتعلم منها دينه خاصة، فإن المطابع تخرج كل يوم السمين والغث، والجديد والرث، فكم فيها من أصيل نافع، وكم فيها من دخيل ضار، وعلى المرء أن يأخذ ما صفا، ويدع ما كدر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد قال أحد الحكماء: أخبرني ماذا تقرأ، أخبرك من أنت!

ونحذر هنا من سموم الكتب المقروءة، كما حذرنا من سموم الأشرطة المسموعة.

ومن الكتب ما هو معلوم ضرره، بيّن خطره، مثل كتب الملاحدة الجاحدين، والمنصّرين المكشوفين، ومنها ما يدس السم في الحلوى، مثل كثير من كتب العلمانيين والماركسيين وأمثالهم، التي تضلل المسلم العادي عن الحق وتزين له الباطل من يحث لا يشعر.

ومن أشد الكتب خطرًا الكتب الدينية التي لا تستند إلى علم وثيق، والتي حرمت من التمحيص والتحقيق، فهي محشوة بالأباطيل، حافلة بالمبالغات والأضاليل، وكثيرًا ما تروج بضاعتها عند العوام الذين لا يميزون بين الطيب والخبيث.

ومن ذلك: كتب الحَرْفيين الغلاة المتشددين، الذين يكادون يُحرِّمون على الناس كل حلال، ويتبنون التعسير لا التيسير، والتنفير لا التبشير.

والواجب أن تكون هناك رقابة على ما يخرج للعامة من هذا النوع من الكتب والمنشورات، كما تفرض الرقابة على الأغذية الفاسدة والملوثة والمنتهية الصلاحية، وأعتقد أن الخطر على الفكر أشد وأقسى من الخطر على الجسم.

هذا وقراءة الكتب القديمة لا يحسنها كل أحد، فهي تحتاج إلى أدوات ومفاتيح خاصة لفهمها؛ لما فيها من مصطلحات، وقضايا علمية متصلة بعلوم مختلفة، لغوية وشرعية ومنطقية، يستغلق فهمها على كثير

QaradawiBooks.com

من الناس، ولا بد من تلقيها على شيوخها، ليفكوا رموزها، ويردوها إلى أصولها، فمن قرأها وحده، وليس مؤهلًا لها، كان كمن يسير في الصحراء بغير دليل، فيوشك أن يهلك ويضيع.

ومن هنا حذَّر الراسخون من علماء الأمة من أخذ العلم عن «الصُحُفيين» ويعنون بهم الذين يُكَوِّنون علمهم من «الصُحف» أي الكتب وحدها، دون أن يعيشوا في مدارس العلم، ويعايشوا أهله، ويخالطوا شيوخه وتلاميذه، ولهذا تشترط بعض الجامعات في عصرنا نسبة حضور الطالب للمحاضرات لا تقل عن (٧٥٪)، ولا تقبل الانتساب إليها دون الحضور.

وجوب سؤال أهل العلم فيما يشكل على المسلم:

وفرض على المسلم أن يسأل في كل ما يعترضه من مسائل أو مشكلات يجهل فيها حكم الشرع، ولا يجوز له أن يعمل فيها بهواه، أو حسب رأيه الخاص، أو رأي من ليس من أهل العلم والفتوى. ولا عذر له في ترك السؤال حياء، أو كبرًا، أو كسلًا، أو انشغالًا بأمر الدنيا، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال ﷺ في شأن قوم أهملوا السؤال في واقعة حدثت لهم ترتب عليها قتل امرئ مسلم: «**قتلوه قتلهم الله، هلا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العِيّ السؤال**»[1].

(١) رواه أحمد (٣٠٥٦)، وقال مخرجوه: حسن. وأبو داود (٣٣٧)، وابن ماجه (٥٧٢)، كلاهما في الطهارة، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ويجب على المسلم أن يسأل من العلماء من يطمئن إلى رسوخ علمه، وإلى قوة دينه، وإلى اعتداله، وبعده عن الغلو والتسيب، ويجتهد في ذلك ما استطاع، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فرض الكِفاية في العلم

وأما فرض الكفاية، فقد يكون في علوم الدين، وفي علوم الدنيا.

التبحر في علوم الدين:

فأما علوم الدين، فما ليس بفرض عين فيها، فإن تعلمه والتبحر فيه فرض كفاية، بحيث يظل في الأمة من إذا استُفتي أفتى بعلم، وإذا استُقضِي قضى بحق، وإذا دعا إلى الله دعا على بصيرة.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فلم يوجب على الجميع النفير لطلب العلم، إنما أوجبه على طائفة في كل فرقة، سواء أكانت هذه الطائفة اثنين أو أكثر أو أقل، ما دامت تكفي لوظيفة التفقيه والإنذار.

ولا يجوز للأمة أن تهمل هذا الأمر، حتى لا يوجد فيها من يفتي الناس ويعلمهم ويذكرهم، كما يدل عليه الحديث المتفق عليه: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

والواجب على الأمة ـ بالتضامن ـ أن تهيـــئ من أبنائها من يقوم بهذه المهمة في الإفتـــاء والتفقيه والتعليم، والدعوة والإرشـــاد، في صورة التخصص العالي، والعلم الاستقلالي، وأن يكون لديها العدد الكافي بحيث يلبي حاجتها في كل بلد من البُلدان، ويجب أن تهيئ له من الأســـباب، وتنشـــئ لذلك من المعاهد والكليـــات ما يحقق الغرض المنشود.

التفوق في علوم الدنيا:

وأما علوم الدنيا، فأعدل ما قيل فيـــه ما قاله الإمام الغزالي، وهو أن فرض الكفاية منها: كل علم لا يُستغنَى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب؛ إذ هو ضـــروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحســـاب، فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهـــل البلد (يعني: دخل عليهم الحرج والمشقة) وإذا قام بها واحد كفى وســـقط الفرض عن الآخرين، (أقول: وقد يحتاج البلد إلى أكثر من واحد، فالمهم أن يوجد العدد الذي يكفي ويسد الحاجة المطلوبة).

قـــال: «ولا يُتعجب مـــن قولنا: إن الطـــب والحســـاب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضًـــا من فروض الكفايات؛ كالفلاحة والحياكة والسياسة، بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجّام (الذي يقوم بجراحة الحجامة، وهو نوع من الجراحة الخفيفة) تســـارع الهلاك إليهم، وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وأرشـــد إلى استعماله، وأعد الأســـباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله.

QaradawiBooks.com

«وأما ما يُعد فضيلة لا فريضة، فالتعمق في دقائق الحساب، وحقائق الطب، وغير ذلك مما يُستغنى عنه، ولكنه يفيد زيادة قوة القدر المحتاج إليه»[١].

وما قاله الغزالي هنا قوي وموافق لمقاصد الشريعة، فإنها تقصد إلى إنشاء أمة قوية عزيزة مكتفية بذاتها، قادرة على التصدي لأعدائها، وهذا يوجب عليها ـ بالتضامن ـ أن تتفوق في كل العلوم الطبيعية والرياضية، التي تحتاج إليها الأمم في عصرنا لتنمو وتتقدم، وليس الطب والحساب فقط، فإنما قال هذا باعتبار زمانه. كما تحتاج الأمة في زمننا إلى الصناعات التكنولوجية المتطورة، وليس أصول الصناعات القديمة وحدها، فكل ما يؤدي إليها، ويعين عليها، فهو فرض كفاية على الأمة، حتى تكون سيدة نفسها، ولا تكون عالة على غيرها.

إن الغرب قد ساد العالم في عصرنا ـ ومنه العالم الإسلامي ـ بما ملك من علوم الدنيا، من الفيزياء والفلك والكيمياء، والجيولوجيا والبيولوجيا وغيرها، وأنشأ ثورات في العلوم ولا سيما في مجال الإلكترونيات والفضائيات، والذَّرَّة والهندسة الوراثية وغيرها، وفي مجال الأسلحة والأدوية ونحوها.

وقد أدى انفصال الإيمان عن العلم في الغرب أن أصبح هذا العلم ـ في الجانب العسكري ـ خطرًا يهدد العالم بأسلحة الدمار الشامل؛ النووية والكيماوية والجرثومية.

كما أصبح مجالًا لصناعة أدوية غير مأمونة، بل غير مشروعة، يروجها أناس لا يخشون خالقًا، ولا يرحمون مخلوقًا.

(١) إحياء علوم الدين (١٦/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكذلك أمسى الناس يخافون من تطور علم «الجينات» وتقدم الهندسة الوراثية، والقدرة على استنساخ الحيوان: أن يدخل ذلك عالم الإنسان.

ولا علاج لذلك إلا أن يكون العلم في حضانة الإيمان، وأن يدور في فلك القيم والأخلاق، وهذا ما يوفره الإسلام لأهله؛ حيث يوجب على المسلم أن يكون العلم نافعًا للناس لا ضارًّا بهم، وقد استعاذ النبي الكريم من علم لا ينفع.

مناقشة للإمام الغزالي في اعتباره تعلم الدقائق فضيلة لا فريضة:

هذا ولا نوافق الإمام الغزالي على اعتباره التعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب مجرد فضيلة لا فريضة، فلعل هذا كان بالنسبة إلى زمنه، أما زمننا فيعتبر التعمق في هذه العلوم وما يشبهها من الرياضيات والفلك، والفيزياء والكيمياء، وعلوم الأرض (الجيولوجيا) والأحياء (الحيوان والنبات)، وعلوم البحار والصحراء، والتشريح ووظائف الأعضاء وغيرها، بحيث يصل إلى دقائقها، ويرتقي إلى حقائقها: فريضة لازمة، والأمم تتسابق في هذا تسابقًا خطيرًا، كل منها تحاول أن تحتل مكانًا يجعل لها قدرًا، وأن تهيئ الفرص للنوابغ من أبنائها ليتعمقوا ويتفوقوا.

ولولا التعمق في هذه العلوم ما وصل عصرنا إلى تحطيم الذَّرَّة، وغزو الفضاء، وصناعة «الكمبيوتر» والإنترنت والثورة التكنولوجية، وثورة البيولوجيا (هندسة الوراثة والجينات) وثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، وغيرها مما أمسى من خواص عصرنا.

وقد لا يكفي واحد متخصص في جانب لإسقاط الحرج والإثم عن الأمة، إنما هذا بحسب الحاجة، والغالب أن الأمة تحتاج في كل مجال

QaradawiBooks.com

إلى فريق كامل من الخبراء، يسدون الثُّغرة، ويلبون الحاجة، ويُوَرِّثون الخبرة لمن بعدهم.

غير مرخصة للطباعة

إتقان العلوم الطبيعية والرياضية:

ولعل أظهر ما يميز «العلم» بالمفهوم العصري أو الغربي: أنه لا يقوم على المنطق الشكلي أو الصوري أو القياسي، الذي يُنسب إلى أرسطو، وإنما يقوم على منطق الملاحظة والتجربة، ويخضع في نتائجه لما تأتيان به. ولهذا يُسمى «العلم التجريبي» ويسمى منهجه «المنهج التجريبي» وهذا يشمل كل العلوم الطبيعية والرياضية التي هي أساس التقدم المادي اليوم، والقرآن والسنة يدعوان الأمة إلى الانتفاع بكل ما سَخَّره الله للإنسان في هذا الكون ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾ [الجاثية: ١٣].

والإسلام يحترم مبدأ التجربة، ويقرها في أمور الدنيا المتغيرة والمتطورة أبدًا.

وهنا أيضًا نجد الرسول ﷺ سبق إلى إقرار مبدأ التجربة في الأمور الدنيوية الفنية، مثل أمور الزراعة والصناعة والطب وما شاكلها، فما أثبتت التجربة نفعه في هذا فهو مطلوب شرعًا، وما أثبتت ضرره فهو مرفوض شرعًا.

وأوضح مثال لهذا المبدأ: موقفه عليه الصلاة والسلام من قضية تأبير النَّخل، حيث رأى أصحابَه من الأنصار يفعلون ذلك، ولم يكن له بذلك عهد، حيث نشأ بمكة، وهي وادٍ غير ذي زرع، فقال لهم كلمة، من باب الظن والتخمين، يشير بها إلى أن هذا العمل لا ضرورة له. وفهم الأنصار منها

QaradawiBooks.com

أنها من أمر الوحي والدين، الذي لا يجوز مخالفتـــه. فتركوا التأبير في ذلك الموسم، فخرج الثمر رديئًا، فلما علم ذلك ﷺ: بيَّن لهم أن كلمته لم تكن من باب الوحي الإلهي؛ بل من باب المشـــورة الدنيوية، حسب ظنه الناشـــئ عن خبراته البيئية المحدودة، ثم قال لهم في النهاية: «**أنتم أعلم بأمر دنياكـــم**». فهذه الشـــؤون الدنيوية الفنية المحضـــة، متروكة لعقولهم ومعارفهم، يديرونها وفقًا لمصلحتهم. وليس من شأن الوحي أن يتدخل فيها، فهم بها أدرى وأعلم.

والقصة في صحيح مسلم، ومســـند أحمد وغيرهما، رواها عدد من الصحابـــة؛ منهـــم طلحة بن عبيـــد الله، ورافع بـــن خديج، وعائشـــة، وأنس رضي الله عنهم.

ففي المســـند عن طلحة رضي الله عنه قـــال: مررت مع النبـــي ﷺ في نخل المدينة، فرأى أقوامًا في رؤوس النخـــل، فقال: «**ما يصنع هؤلاء؟**» قال: يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى، يلقحون به، فقال: «**ما أظن ذلك يغني شـــيئًا**». فبلغهم، فتركوه ونزلوا عنها، فلم تحمل تلك السنة شيئًا. فبلغ ذلك النبـــي ﷺ، فقال: «**إنما هو ظـــن ظننته، إن كان يغني شـــيئًا فاصنعوا، فإنما أنا بشـــر مثلكم، والظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم: قال الله عز وجل؛ فلن أكذب على الله**»[(١)].

وفي صحيح مســـلم من رواية رافع بن خديج أنه قال لهم: «**إنما أنا بشـــر، إذا أمرتكم بشـــيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦١)، وأحمد (١٣٩٩).

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٢).

QaradawiBooks.com

وفيه من رواية عائشة وأنس: أنه ﷺ قال لهم بعد أن خرج التمر شيصًا ـ بسرًا رديئًا ـ «**ما لنخلكم؟!**» قالوا: قلت كذا وكذا. قال: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»(١).

فالقانون الذي يجب الخضوع له هنا هو القانون الذي تنتجه الخبرة والممارسة، أو المشاهدة والتجربة. ويكفي العقل الإنساني في هذه الأمور هاديًا ودليلًا. أما الوحي فحسبه أن يضع للناس القيم والمبادئ العامة والضوابط، ثم يدع البشر يتصرفون تبعًا لما يعلمون، وحسبهم هذه الكلمة الجليلة: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**».

تعلم اللغات عند الحاجة:

ومن فروض الكفاية الواجبة على مجموع الأمة: تعلم لغات الآخرين عند الحاجة إليها، وخصوصًا إذا كان عندهم ما ليس عند المسلمين، من علم يؤخذ أو حكمة تقتبس، فلا سبيل إلى الانتفاع بما عند غيرك إذا جهلت لغته. ولم يمنع الإسلام من تعلم لغات الآخرين، بل دعا إليها باعتبارها وسيلة للتفاهم بين البشر، كما أنها وسيلة لنشر دعوته في العالم، فهي هنا فرض كفاية.

وذلك أن رسالته ﷺ رسالة عالمية، فهو ـ وإن كان عربيًّا، والكتاب المنزل عليه عربي، وقد أرسله الله بلسان قومه ليبين لهم ـ قد بُعث للناس كافة ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلا بد من تراجمة بينه وبين أرباب اللغات الأخرى، حتى يمكنه تبليغ الدعوة إليهم، وتلقي الإجابة منهم. وقد كان عنده ﷺ من أصحابه من يعرف الفارسية والرومية والحبشية، ويكفيه هم الترجمة منها وإليها، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التي يكتب بها يهود، فأمر بذلك كاتب وحيه الأنصاري النابغة: زيد بن ثابت رضي الله عنه، ليتقنها قراءة وكتابة، ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك، وبخاصة أنهم غير مأمونين.

قال زيد: أمرني رسول الله ﷺ، فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال: «**إني والله ما آمن يهود على كتابي**»، فما مر لي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته، فكنت أكتب له إليهم، وأقرأ له كتبهم[(١)]. ولعله كان على شيء من المعرفة بها من قبل «لمجاورة الأنصار لليهود» حتى أمكنه أن يحذقها في هذه المدة القصيرة.

ومن هنا حرص كثير من المسلمين ـ في عصور ازدهار حضارتهم ـ على معرفة اللغات، فترجموا منها وإليها، وقال في ذلك الشاعر[(٢)]:

بقدر لغات المرء يكثُر نفعُه فتلك له عند الملمَّات أعوان
فأقبل على درس اللغات وحفظها فكل لسان في الحقيقة إنسان

إتقان علوم الإحصاء:

ومن فروض الكفاية على المسلمين: إتقان «علوم الإحصاء» وما يتعلق بها، لاستخدامها في شؤون الحياة المختلفة.

---

(١) رواه أحمد (٢١٦١٨)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في العلم (٣٦٤٥)، والترمذي في الاستئذان (٢٧١٥)، وقال: حسن صحيح. وعلقه البخاري في صحيحه (٧١٩٥) بصيغة الجزم.

(٢) البيت لصفي الدين الحلي، كما في مجاني الأدب لرزق الله شيخو (٢٣/١)، نشر مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م.

QaradawiBooks.com

وإذا كان عصرنا يعتبر استخدام أسلوب الإحصاء من أبرز دلائل الطريقة العلمية في معالجة الأمور، وهو فارق مميز بين العلميين والعشوائيين أو الغوغائيين من الناس، فإن النبي ﷺ، قد بادر إلى الانتفاع بالإحصاء منذ عهد مبكر من إقامة دولته بالمدينة.

فقد روى البخاري ومسلم، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس**». قال حذيفة: فكتبنا له ألفًا وخمسمائة رجل[1].

وفي رواية مسلم: «أحصوا لي كم يلفظ الإسلام».

فهو إحصاء كتابي يراد تدوينه وتثبيته، وذلك ليعرف عليه الصلاة والسلام مقدار القوة البشرية الضاربة التي يستطيع بها أن يواجه أعداءه المتربصين به، ولهذا كان الإحصاء للرجال فقط، أي القادرين على القتال.

والإحصاء الذي تم في عهد مبكر من حياة الدولة المسلمة، وتم بأمر من الرسول نفسه في سهولة ويسر، يرينا إلى أي حد يرحب الإسلام باستخدام الوسائل العلمية.

وفي مقابل هذا نجد في «العهد القديم» أن أحد أنبياء بني إسرائيل أراد أن يعمل لهم إحصاء، فنزلت عقوبة سماوية بهم! كأنما «الإحصاء» يمثل تحديًا للقدر أو للإرادة الإلهية. وهذا ما استنبط منه الفيلسوف الوضعي المعاصر الشهير «برتراند راسل» أن «التوراة» والكتاب المقدس لا تتيح مناخًا مناسبًا لإنشاء عقلية علمية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٤٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

علم التخطيط للمستقبل:

ويدخل في فروض الكفاية اليوم: ما يسمى «علوم المستقبل» وهي التي تستشرف آفاق المستقبل، في ضوء إمكانات الحاضر الظاهرة والمخبوءة والمكنونة في طاقات الأمة، وعلاقاتها بما حولها ومن حولها، وما تنبئ عنه الدراسات العلمية، التي تعطي ترجيحات لما يتوقع، على سبيل الظن، لا القطع واليقين، وهذا يكفي للتخطيط للمستقبل على هذا الأساس العلمي المقدور عليه.

ولا يجوز للمسلمين أن يعيشوا بمعزل عن هذه العلوم التي تتقدم وتتطور يومًا بعد يوم، وتخدمها عقول كبيرة، ومؤسسات ضخمة في أنحاء العالم.

ولا ينبغي اعتبار ذلك من باب «التنبؤ بالغيب» الذي لا يعلمه إلا الله؛ لأن هذا في الغيب المطلق، أما الغيوب النسبية التي جعل الله للبشر سبيلًا إلى استشفافها وإدراكها بوسائل معينة، في دائرة السنن الإلهية، فليست في نطاق المحظور شرعًا، إنما هي أشبه بعلم الأرصاد الجوية، الذي يتنبأ بالحرارة والبرودة، ونزول المطر، ونحو ذلك، بناء على ظواهر جوية مشهودة، لها آثارها المعهودة، وبناء عليها يتوقع ما يحدث من تغيرات المناخ.

وإذا كان الإحصاء من دلائل الطريقة العلمية فالتخطيط كذلك، بل هو أوضح دلالة عليها، والتخطيط إنما يعتمد على الإحصاء، ويراد بالتخطيط وضع خطة لمواجهة احتمالات المستقبل، وتحقيق الأهداف المنشودة.

ومن الناس من يتصورون أو يصورون الدين في موقف المعارض أو المناقض لفكرة التخطيط العلمي للمستقبل. وهذا من أثر الفكرة القديمة

QaradawiBooks.com

التي جعلت العلم مقابلًا للإيمان، فهما ضدان لا يجتمعان، أو خطان متوازيان لا يلتقيان.

والحقيقة أن فكرة الدين في جوهرها قائمة على أساس التخطيط للمستقبل، ففيه يأخذ المرء المتدين من يومه لغده، وبعبارة أخرى: من حياته لموته، ومن دنياه لآخرته، ولا بد له أن يخطط حياته ويرسم لنفسه منهاجًا وفق عقيدته، يوصله إلى الغاية، وهي رضوان الله ومثوبته.

وفي القرآن الكريم قصة جعلها الله عبرة لأولي الألباب، وهي قصة نبي الله يوسف عليه السلام، وفيها يذكر القرآن لنا مشروع تخطيط للاقتصاد الزراعي لمدة خمسة عشر عامًا، لمواجهة أزمة غذائية عامة. عرف يوسف ـ بما ألهمه الله، وعلمه من تأويل الأحاديث ـ أنها ستصيب المنطقة كلها، وقد اقترح يوسف عليه السلام مشروع الخطة، ووكل إليه تنفيذها، وكان فيها الخير والبركة على مصر وما حولها، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ ـ ٤٩].

ويظن آخرون أن التخطيط للغد ينافي التوكل على الله أو الإيمان بقضائه وقدره، ولهذا يستبعدون كل الاستبعاد أن يقبل الدين فكرة التخطيط، فضلًا عن أن يوجه إليه، أو يحث عليه.

والحق أن الذي يتعمق في دراسة كتاب الله وسنة رسوله يتبين له أنهما يرفضان الارتجال والعشوائية، وترك الأمور تجري في أعنتها بغير ضابط ولا رابط ولا نظام. وبيَّن الرسول ﷺ أن التوكل على الله لا يعني اطراح الأسباب، أو إغفال السنن التي أقام الله عليها نظام هذا الوجود،

QaradawiBooks.com

ولا يكاد مسلم يجهل قصة الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ، وترك ناقته أمام المسجد قائلًا: يا رسول الله، أأعقل ناقتي وأتوكل أم أطلقها وأتوكل؟ فقال له: «**اعقلها وتوكل**»[١].

وقال الإمام الطبري يرد على من زعم أن تعاطي الأسباب يؤثر في كمال التوكل: الحق أن من وثق بالله، وأيقن أن قضاءه عليه ماض، لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب، اتباعًا لسُنته وسنة رسوله، فقد ظاهر ﷺ بين درعين ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوتهم، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك[٢].

ومن قرأ سيرته عليه الصلاة والسلام وجد أنه كان يعد لكل أمر عدته، ويهيئ له أسبابه وأُهبته، آخذًا حذره، مقدرًا جميع الاحتمالات، واضعًا ما أمكنه من الاحتياطات، مع أنه كان أقوى المتوكلين على الله تعالى.

فهو حين أمر أصحابه ـ بعد أن اشتد إيذاء قريش لهم ـ بالهجرة إلى الحبشة، لم يكن هذا الأمر اعتباطًا، أو رمية من غير رامٍ، بل كان نتيجة معرفة بالظروف الجغرافية والدينية والسياسية للحبشة في ذلك الوقت.

وهذا يدلنا على أن الرسول وأصحابه لم يكونوا في عزلة عن العالم من حولهم، رغم صعوبة المواصلات بين الأقطار بعضها وبعض.

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٩٠/٨)، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٢٢)، عن أنس.

(٢) نقله الشوكاني في نيل الأوطار (٩٢/٩)، نشر دار الجيل، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويدل على ذلك أيضًا موقفهم من حرب الفرس والروم، وما كان من جدل بين المسلمين والمشركين في هذا، مما نزلت فيه أوائل سورة الروم ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٢ ـ ٨].

وهكذا، فقد كانوا ـ وهم في فجر الدعوة، ورغم الضعف والاضطهاد ـ على صلة بالصراع العالمي بين الدولتين العظميين في ذلك العصر، أو المعسكرين الكبيرين: الشرقي، والغربي، ولمن سيكون المستقبل منهما، وهل سيبقى الوضع على ما هو عليه أو سيتغير، ولصالح أي الفريقين؟

وأوضح من ذلك موقفه ﷺ في هجرته إلى المدينة، ففيها يتجلى التخطيط العلمي، والتوكل الإيماني، جنبًا إلى جنب.

فلقد أعد عليه الصلاة والسلام من جانبه كل ما يستطيع البشر إعداده من الوسائل والاحتياطات والمعينات.

ولقد اطمأن إلى المهجر الذي سينتقل إليه، بعد أن بايع المؤمنين من الأوس والخزرج بيعة العقبة الأولى والثانية، واشترط لنفسه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم.

واطمأن إلى الرفيق الذي سيصحبه في رحلته الجاهدة، بما فيها من أخطار، وما تحمله من مفاجآت، ولم يكن هناك أفضل من أبي بكر رفيقًا.

QaradawiBooks.com

واطمأن إلى الفدائي الذي سيبيتُ مكانه، معرِّضًا نفسه لاحتمالات الخطر، وغدرات المتربصين، ولم يكن ثَمَّ أفضل من عليٍّ ابن عمه أبي طالب، فارس الإسلام، لهذه المهمة.

ورتَّب الدليل الخِرِّيت الذي يدله على الطريق، وما فيه من منعطفات ومخابئ يمكن أن تضلل عنه أعين الطالبين، فكان مشركًا أمينًا، هو عبد الله بن أريقط، وهو ما أخذ منها الفقهاء جواز الاستعانة بالخبرة الفنية غير الإسلامية، مع الاطمئنان والأمان.

وهيَّأ الرواحل التي سيمتطيها هو وصاحبه ودليله في سفرهم الطويل، واتفقوا على المكان الموعود الذي يستقلون به الركائب.

وتخيَّر المخبأ الذي يختفي فيه أيامًا معدودة، حتى تخف حدة الطلب، ويتملك القوم اليأس، واختاره في غير طريق المدينة، زيادة في التعمية على القوم، فكان غار «ثور».

وأعد فريق الخدمة الذي يأتي بالزاد والأنباء خلال أيام الاختفاء، فكانت أسماء وعبد الله بن أبي بكر، ومن بعدهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتي بغنمه فيحلبون منها ويعفِّي على آثار أسماء وعبد الله.

خطة محكمة الحلقات، متقنة التدبير، ولم تترك فيها فجوة دون أن تُملأ، ولا ثُغرة دون أن تُسدَّ، ووضع فيها كل جندي في دوره المناسب لظروفه وقدراته، فدور أبي بكر، غير دور عليٍّ، غير دور أسماء، وكل في موقعه الصحيح.

ومع هذا الإحكام الدقيق، كادت الخطة تخفق، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الغار، ويقفوا على بابه، وكان يكفي لكشف الأمر وإفساد

QaradawiBooks.com

الخطة أن ينظر أحد القوم تحت قدميه، ليرى الرسول وصاحبه في الغار، وهذا ما خشيه أبو بكر، وصرَّح به للرسول ﷺ حين قال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال له كلمته المؤمنة الواثقة: «**ما ظنُّك يا أبا بكر، باثنين الله ثالثهما؟** ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]»[(١)].

وهنا تجلى دور «التوكل» الحق، فبعد أن يبذل الإنسان ما في وسعه، ويتخذ من الأسباب والخطط ما يقدر عليه، يدع ما لا يقدر عليه من مفاجآت القدر لله وحده. وهنا تقع «إن الله معنا» موقعها وتُؤتي أكلها.

اقتباس كل علم نافع من أهله:

ومن فروض الكفاية على المسلمين اقتباس كل علم ينفع الإسلام وأهله، ولو كان من عند غير المسلمين، كما رأينا الرسول الكريم، كيف استفاد من أسرى المشركين في بدر، في تعليم أولاد المسلمين الكتابة، وقد تعلم منهم الشاب الأنصاري النابه زيد بن ثابت، وأصبح من كتّاب الوحي بعد ذلك.

وقد روى الترمذي وابن ماجه بإسناد ضعيف ـ حديث: «**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها، فهو أحقُّ بها**»[(٢)].

والحديث ـ مع ضعف إسناده ـ صحيح المعنى، ولهذا عمل بمقتضاه المسلمون، وانتفعوا بما لدى الأمم الأخرى من علم وحكمة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٦٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١)، عن أبي بكر الصديق.

(٢) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦)، عن أبي هريرة. ولكن معناه صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

وقال علي ﷺ: العلم ضالَّة المؤمن، فخذوه ولو من أيدي المشركين[١].

وينطبق هذا أكثر ما ينطبق على نتائج العلوم المادية المحضة، التي لا تصطبغ بعقائد أصحابها ولا بأفكارهم؛ لأنها قوانين كونية عامة، يدين بها المؤمن والكافر، ويخضع لسنتها البر والفاجر.

ومن هنا لم يجد المسلمون حرجًا في اقتباس العلوم الكونية من الطب، والكيمياء، والفلك، والبصريات، والرياضيات، وغيرها من أمم الحضارات القديمة، مثل اليُونان والفرس، والروم والهنود، ولا سيما اليونان.

وهذا بخلاف الدراسات الأخرى، التي تتصل بالدين والقيم والمفاهيم، وتؤثر في وجهة نظر دارسها إلى الله، والطبيعة والإنسان، والتاريخ والمجتمع.

ومن هنا أنكر النبي ﷺ على عمر، حين رآه يقرأه شيئًا من صحائف أهل الكتاب من اليهود؛ لأن الله تعالى قد أغنى بالقرآن المحفوظ عن كتب أصابها التحريف والتبديل، واختلطت فيها كلمات الله بأوهام البشر وأهواء الخلق، ففقدت الثقة بعصمتها، والدين لا يجوز أن يؤخذ إلا من مصدر إلهي معصوم، ثابت النسبة إلى الله تعالى.

روى الإمام أحمد، عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فرآه النبي ﷺ فغضب فقال: «**أمُتَهَوِّكون فيها يا ابن الخطاب[٢]؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء**

(١) جامع بيان العلم (٦٢١).

(٢) متهوكون: أي متحيرون. يعني: هل أنتم متحيرون، أو مترددون في عقيدتكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم؟

QaradawiBooks.com

نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»[(١)].

وإنما غضب النبي ﷺ وتغير وجهه واشتد في إنكاره؛ لأن الأمر هنا أمر دين لا يؤخذ إلا من الصادق المصدوق، وخصوصًا في فترة النشأة والتكوين، فيجب التشديد فيها، حتى لا يختلط الدين الحق بغيره من الأباطيل.

أما علوم الحياة وفنونها، ومـــا يهتدي إليه الناس بعقولهم وتجاربهم فهو ملك عامة البشر، نأخذه من أي وعاء خرج، ونلتمسه من الشرق أو الغرب، ونقتبسه من المسلم والمشرك، كما رأيناه ﷺ يستفيد من أسرى المشـــركين في محو الأمية، ويأخذ بفكرة حفر الخنـــدق حول المدينة، وهي من أســـاليب الفرس، ويســـتخدم المنجنيق في حصـــار الطائف، ويخطب على المنبر، وهو صنعة نجار رومي.

ونرى خلفاءه الراشدين يسنون للأمة أمورًا لم يكن للعرب بها عهد، إنما اقتبسوها من غيرهم من الأمم، إذ رأوا فيها صلاحًا ونفعًا، فها نحن نرى عمر يســـتجيب لمقترحات بعـــض أصحابه فيأخذ بفكـــرة التاريخ، وفكرة تدوين الدواوين وغيرها، مما اعتبره المؤرخون من «أوَّليات عمر».

بل ذهب بعض الباحثين إلى أن التدوين قد بدأ منذ عهد النبي ﷺ، أخذًا مما ذكرناه من قبل من الأمر بالإحصاء الكتابي للمسلمين بعد الهجرة[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٥١٥٦)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في المقدمة (٤٤٩)، وأبو يعلى (٢١٣٥)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٣٤/١٣): رجاله موثقون إلا أن في مجالد ضَعْفًا. عن جابر بن عبد الله.

(٢) انظر: التراتيب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية للكتاني (٢٢٠/١، ٢٢١)، نشـــر حسن جعنا، بيروت.

QaradawiBooks.com

ومن هنا لا نرى بأسًا ولا حرجًا في اقتباس أمتنا للعلوم التجريبية، أعني العلوم الطبيعية والرياضية، التي تفوَّق فيها الغرب، وإن أخذ مبدأها منا، واقتبسها من حضارتنا، فهي بضاعتنا ترد إلينا، ولكنه في الواقع طوَّرها وأضاف إليها، وارتقى بها ارتقاءً هائلًا، استطاع بها أن يصل إلى القمر، ويحاول غزو الكواكب الأبعد.

أ ـ فعلينا أن نستفيد من هذه العلوم الكونية إلى حد الإتقان والتفوق، حتى نملك أسرارها، ولا نصبح عالة على غيرنا.

ب ـ ويجب علينا أن نربطها بالإيمان والتوحيد، من حيث متعلقاتها وغاياتها وفلسفتها، باعتبار تجسد سنن الله في الكون، وآياته في الآفاق وفي الأنفس، ونعمه تعالى في تسخير ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، للإنسان خليفته في هذا العالم. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه تعليم هذه العلوم للناس.

جـ ـ وعلينا أن نربط هذه العلوم من حيث نتائجها واستخداماتها العملية بالقيم والأخلاق، فلا تستخدم فيما يضر الإنسان ماديًا ولا معنويًا، ولا فيما يغوي الظالم على ظُلمه، والمُبطل على الاستمرار في باطله، وتوسيع دائرته ونشره، ولا فيما يلوث الحياة والبيئة، ويخل بالتوازن الكوني.

إن العِلم في رسالتنا يبني ولا يهدم، ويحيي ولا يميت؛ لأنه ناشئ في حضانة الإيمان، ومن أوتي العلم قال ما قاله سليمان حين أتي بعرش ملكة سبأ: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

* * *

QaradawiBooks.com

الإسلام والعلوم الإنسانية

ولا بد لنا أن نجيب عن سؤال كبير هنا، يسأله كثيرون من المسلمين، هو: ما موقف الإسلام من «العلوم الإنسانية»، وذلك لما لهذه العلوم من بعيد الأثر، وعظيم الخطر، على اتجاهات الثقافة والفكر في مجتمعاتنا الإسلامية.

فهذه العلوم التي تتصل بالإنسان ـ من علوم النفس، والاجتماع، والتربية، والأخلاق، والفلسفة، واللسانيات، والاقتصاد، والقانون، والتاريخ، وغيرها ـ هي التي تصنع أذواق الناس وميولهم، واتجاهاتهم العقلية والنفسية والسلوكية، وتؤثر في تكوين الشخصية الإنسانية للفرد، والشخصية الحضارية للأمة.

ولهذا تختلف هذه العلوم من أُمَّة إلى أمة، ومن مجتمع إلى آخر، تبعًا لفلسفته في الحياة، ونظرته إلى الدين والدنيا، وللفرد والمجتمع.

فإذا لم تكن هذه العلوم معبرة عن عقائد الأمة وقيمها وأهدافها الكبرى، وإنما تعبر عن مُثل قوم آخرين ومبادئهم وأفكارهم وفلسفتهم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والحضارية، فإن إثمها يكون أكبر من نفعها، وتكون معول هدم لمعنوية الأمة ووحدتها، بدلًا من أن تكون أداة بناء وتشييد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إن نقل العلوم الإنسانية عن الآخرين نقلًا حرفيًّا بما وراءها من أصول نظرية واتجاهات فلسفية أشبه بـ«نقل الدم» من إنسان لآخر، فإذا كان من فصيلة غير فصيلته ـ ولو كان نقيًّا من أي ميكروب أو تلوث ـ فقد يكون سببًا في هلاك المنقول إليه، فكيف إذا لم يسلم من التلوث؟

ليس معنى هذا إغلاق الأبواب والنوافذ أمام هذه العلوم، ورفض كل مقرراتها ونتائجها.

فليس هذا شأن المسلم الذي يلتمس الحكمة من أي وعاء خرجت.

وقد رأينا النبي ﷺ يقول، فيما رواه البخاري: «**أصدق كلمة قالها شاعر: كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[1]. وهو مطلع قصيدة للبيد بن ربيعة قالها في جاهليته، ولم يرَ النبي الكريم حرجًا في الاستدلال بها، والاستفادة منها.

وقد رأينا كثيرًا من الصحابة ـ مثل ابن عباس ـ يستشهدون بأشعار مما قاله شعراء الجاهلية، ويفسرون بها القرآن، كما رأيناهم يقتبسون من بعض نظم الفرس والروم ما لا يتعارض مع شريعتهم.

فلا غرابة أن نأخذ من العلوم الإنسانية اليوم ما ثبتت علميته وموضوعيته، وقامت الأدلة المنطقية أو التجريبية على صحته.

والذي يهمنا تأكيده هنا أن نقف من هذه العلوم موقف الأحرار، لا موقف العبيد، نأخذ منها وندع، وفقًا لمسلماتنا العقائدية والفكرية التي تميز شخصيتنا، باعتبارنا «أمة وسطًا» بوأنا الله مكانة الشهادة على الناس، وكلَّفنا رسالة الحق والخير، وهداية البشر للتي هي أقوم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٨٤١)، ومسلم في الشعر (٢٢٥٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لا بد من معرفة ما وراء هذه العلوم، وما تهدف إليه، وما جاءت به، وماذا فيها من العلم، وماذا فيها من الخلط، وماذا فيها من الهوى، لنأخذ ما نأخذ عن بينة، ونترك ما نترك عن بينة.

ملاحظات على العلوم الإنسانية:

ومن الملاحظ على العلوم الإنسانية جملة أمور:

١ ـ الظَّنيَّة:

أولًا: أنها علوم ظنِّية تخمينية، لا تقوم على مقدمات يقينية، ولذا لا تعطي نتائج يقينية.

وهذا باعتراف أقطاب هذه العلوم أنفسهم، حتى قال العالم النفسي الشهير وليم جيمس، عن علم النفس: إنه ليس علمًا بل هو أمل علم.

وهذا ما اقتبسه اقتصادي أمريكي معاصر، هو «جون. س. جان بس» ـ وقال الكلمة نفسها عن علم الاقتصاد[١].

وقال الدكتور «ألكسيس كاريل»: يجب أن يفهم بوضوح أن قوانين العلاقات البشرية ما زالت غير معروفة، فإن علوم الاجتماع والاقتصاديات علوم تخمينية افتراضية[٢].

وسبب ذلك أن موضوع العلوم الإنسانية هو الإنسان، وهو مخلوق سريع التغير، ليس كالمعادن والفلزات وغيرها من مظاهر المادة التي يمكن إجراء التجارب عليها، واستخلاص النتائج منها بثقة كبيرة.

(١) في كتابه: المدخل إلى علم الاقتصاد صـ ١٨٠.

(٢) الإنسان ذلك المجهول صـ ٤٠، ترجمة شفيق أسعد فريد، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

كما أن المادة لا إرادة لها ولا عقل، ولهذا تحكمها القوانين الطبيعية وتضبطها، بخلاف الإنسان الذي يُظهر ما شاء ويُبطن.

والمادة هي المادة سواء كانت في أدغال أفريقيا أم في سهول أوربا، تخضع لقوانين الحرارة والبرودة والتجمد والتمدد... إلخ. أما الإنسان فهو ابن بيئته ووقته، يتأثر بالمكان، كما يتأثر بالزَّمان.

والإنسان الفرد يتغير تفكيره ومشاعره وسلوكه من مرحلة في العمر إلى مرحلة، ومن حالة إلى حالة، فهو في الشباب غيره في الهَرَم، وهو في الشدة غيره في الرَّخاء، وهو في المرض غيره في الصِّحة، وهو في الفقر غيره في الغِنى، حتى قال الشاعر[١]:

يُقضَى على المرء في أيام محنتِهِ حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسنِ

ثم إن كل إنسان من البشر يمثل في نفسه «مملكة مستقلة» لها طابعها المميز عن غيرها، فكما أن صوته لا يشتبه بأصوات الملايين غيره، وصورته تتميز عنهم، و«بصمته» تختلف عنهم، فكذلك شخصيته المعنوية.

لهذا كان إجراء التجارب على نماذج (عينات) من البشر، ثم قياس الآخرين عليها، على اعتبار أنهم مماثلون لهم، لا يخلو من مجازفة، فالفروق ثابتة بيقين.

يقول البروفسور «رينيه دوبو» في كتابه «إنسانية الإنسان»: «كل إنسان مخلوق فريد، ليس له نظير سابق، ولن يكون له نظير لاحق»[٢].

---

(١) هو الأمير يحيى بن علي باشا الإحسائي، كما في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين المحبي الحموي (٤/٤٧٦)، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) بهذه الكلمة ابتدأ المؤلف ـ وهو من الحاصلين على جائزة نوبل في العلوم ـ تمهيده لكتابه الذي يعد نقدًا علميًا للحضارة الغربية المعاصرة صـ ٢٧، ترجمة د. نبيل صبحي الطويل، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

QaradawiBooks.com

وهذه الأسباب كلها وغيرها تبقي هذه «العلوم» في دائرة «الظن والتخمين»، فلا ينبغي أن نتجاوز بها هذه الدائرة، وخصوصًا في أصولها النظرية واتجاهاتها الفكرية، ولا غرو أن تختلف اختلافًا شديدًا فيما بينها، في مناهجها وفي نتائجها.

ومن ثَمَّ تكون تسميتها «علومًا» من باب المجاز؛ لأن الأصل في العلم أنه ما بُني على اليقين، وما يفيد اليقين. ولهذا قال القرآن عن اعتقادات المشركين من العرب: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وإذا كان هذا هو شأن مقررات هذه العلوم، فلا يجوز لمسلم أن يعارض بها النصوص الثابتة المحكمة من القرآن والسُّنة، كما يصنع ذلك بعض المتعجلين أو المغرورين بنتائج هذه العلوم، ممن لم يتعمقوا في بحار الثقافة الإسلامية الأصيلة.

٢ ـ الذاتية:

ثانيًا: أن هذه العلوم غير محايدة، إن الذاتية تلعب فيها دورًا كبيرًا، ووجهة النظر الدينية أو الأيديولوجية أو القومية لدى الباحث توجه تفكيره وبحثه، شاء أم أبى، شعر أو لم يشعر، فليس هناك إنسان قادر على أن يتحرر من ذاتيته تحررًا كاملًا، ويتخلص من ضغط المؤثرات الثقافية والبيئية على عقله.

ولهذا رأينا للماركسيين «مدارس» في علم النفس، وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وتفسير التاريخ، وغيرها، تتجه إلى غير ما تتجه إليه المدارس الغربية التقليدية (الكلاسيكية).

QaradawiBooks.com

وحتى المدارس الغربية كثيرًا ما نجدها تختلف فيما بينها، فالمدرسة الاجتماعية الفرنسية غير المدرسة الاجتماعية الأمريكية، ولكل منهما خصائصه وشخصيته.

وفضلًا عن ذلك، توجد أهواء متعمدة توجه بعض الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، لتحقيق أغراض خاصة لمصلحة شعب أو طائفة، أو طبقة أو حزب، أو غير ذلك.

وأشد ما يشين العلم ـ بعد اتباع الظن ـ اتباع الهوى، فإنه يعمي عن الحقيقة ويصم. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

ومن هنا حذَّر الله نبيه داود بقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقد ذمَّ القرآن المشركين فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

وأخطر الأهواء هي التي تلبس لبوس العلم، وهي ليست منه في شيء، أو تدس الأباطيل الزائفة بين ثنايا الحقائق الثابتة، كما يدس السم في العسل.

ولهذا وجدنا اليهود ـ تبعًا لطموحاتهم في السيطرة على العالم ـ يحاولون النفوذ من خلال هذه العلوم لبث أفكارهم، وإشاعة آرائهم ـ أو أهوائهم ـ المنبثقة عن اعتقاداتهم العنصرية والدينية.

وقد أشار الكاتب الكبير الأستاذ عباس العقاد في كتابه عن «الصهيونية العالمية» إلى ثلاثة من كبار اليهود كان لهم آثارهم الخطيرة

QaradawiBooks.com

في مجال الدراسات الإنسانية، وهم «فرويد» في مجال علم النفس، و«ماركس» في مجال الاقتصاد، و«دور كايم» في علم الاجتماع.

وقد سمعت من شيخنا الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق أن نحو (٨٠٪) من كراسي علم النفس وعلم الاجتماع في أمريكا، كان يحتلها اليهود في وقت من الأوقات.

٣ ـ الروح الغربية:

ثالثًا: إن هذه العلوم في صورتها المعاصرة علوم غربية، وما يدرس منها في جامعاتنا ليس أكثر من ترجمة، إلا ما ندر، فالزعم بأنها علوم عالمية الوجهة، إنسانية الطابع، زعم مخالف للواقع، بل هي علوم عليها خاتم الفكر الغربي وتوقيعه. نظرتها إلى العالم من خلال الغرب، وإلى التاريخ العالمي من خلال تاريخ الغرب، وإلى الدين من خلال الممارسة الغربية، وتقسيم التاريخ إلى قديم ووسيط وحديث، مبني على أحداث وقعت للغرب.

والعصور الوسطى عندهم عصور ظلام؛ لأنها هكذا كانت في الغرب، بغض النظر عن أنها كانت العصور الذهبية للحضارة الإسلامية الشامخة.

فهذه العلوم للأسف بالنسبة لنا نحن العرب والمسلمين ليست محايدة، بل هي معارضة لخطنا الفكري، واتجاهنا الحضاري، بل أكثر من ذلك أنها تحمل رُوح العداء لنا.

وسبب ذلك أنها تحمل رواسب موروثة من روح الحروب الصليبية، كما أشار إلى ذلك الباحث الأوربي المهتدي إلى الإسلام ليوبولد فايس (محمد أسد) كما وضَّح ذلك في كتابه القيم: «الإسلام على مفترق الطرق».

QaradawiBooks.com

من عيوب النظرة الغربية للإنسان:

ولما كانت العلوم الإنسانية في صورتها المعاصرة ابنة للغرب أو ربيبته في حجره، رأيناها تحمل في طيها فلسفة الغرب ونظرته للإنسان، وعلاقته بالله وبالكون وبالحياة. وهذه هي آفة هذه العلوم.

أ ـ إغفال الروح في كيان الإنسان:

وعيب هذه النظرة الغربية للإنسان أنها لا تنظر إليه من خلال طبيعته المزدوجة: مادة وروح، إنما تنظر إليه من خلال كيانه المادي، وجسمه المنظور، أما تلك النفخة الإلهية التي نسميها «الروح» فلا مكان لها في النظرة الغربية.

حتى الذين نقدوا الحضارة الغربية وموقفها من الإنسان ـ مثل د. آلكسيس كاريل ـ لم يستطيعوا أن يخترقوا حجاب المادة ليصلوا إلى عالم الروح. وكل تركيزهم على الجسم، وكل نشاط للإنسان في الحياة ـ حتى النشاط الروحي والديني ـ مرده إلى الجسم نفسه! فبحثهم يتركز حول الإنسان، باعتباره آلة أو ماكينة معقدة، ولكنها ليست من حديد، بل من لحم ودم.

ذلك أن كاريل وأمثاله من نُقاد هذه الحضارة هم ربائبها، وهم أسارى في معسكرها! فلا يسهل عليهم الفكاك من أسرها، أو الإفلات من سجنها.

أما الإنسان في نظر الإسلام، فهو كائن ذو طبيعة مزدوجة، فيه قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، كما بين ذلك القرآن في خلق آدم أول البشر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ ـ ٧٢].

QaradawiBooks.com

فإذا كان في خلق الإنسان نوازع تشده إلى أسفل، إلى الطين، فإن بجوانحه أشواقًا تجذبه إلى أعلى، إلى الأفق الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾.

وإذا كان الجانب الطيني في الإنسان يحتاج إلى غذاء من جهة الأرض التي خُلق منها، فإن الجانب الروحي فيه يحتاج إلى غذاء من جهة السماء التي جاءت منها نفخة الروح. وبهذا ثبتت حاجة الإنسان إلى وحي الله، ليهديه صراطه المستقيم، وإلى عبادة الله ليشبع نهمه، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان!

هذه النظرة الغربية للإنسان، التي لا تعترف إلا بجانبه المادي المنظور، وبهيكله المحسوس المكون من الأجهزة والأعضاء والخلايا، من العظم واللحم والدم والأعصاب ـ ترتب عليها محظور آخر، في اعتبار الإنسان لنفسه، وقيمته في الكون.

فالإنسان ـ ولا شك ـ من حيث حجمه شيء ضئيل ضئيل، فما قيمة جِرم الإنسان بالنسبة إلى جِرم الأرض؟ وما قيمة جِرم الأرض بالنسبة إلى جِرم مجرتنا التي نعيش فيها؟ وما نسبة هذه المجرة إلى المجرات الأخرى؟

ولكن قيمة الإنسان ليست بهذا الجِرم المادي، والغلاف الطيني، قيمة الإنسان في الجوهرة الربانية التي أودعها الله في الطين والحمأ المسنون، وهي التي استحق بها الإنسان التكريم والسجود من الملائكة ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [صٓ: ٧٢].

وقد كرَّم الله هذا الإنسان، واستخلفه في الأرض، وحمَّله مسؤولية كُبرى، ناءت بحملها السماوات والأرض والجبال. يقول القرآن:

QaradawiBooks.com

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقد علمنا القرآن الكريم أن هذا الكون الكبير مُسخَّر للإنسان، وليس الإنسان مسخرًا للكون، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

وهذا ما جعل للإنسان قيمة كبرى في الكون وإن صغر حجمه، وفي هذا يروون عن علي رضي الله عنه قوله يخاطب الإنسان:

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

ولا ريب أن الإنسان كذلك من حيث عمره ضئيل ضئيل، فما قيمة سبعين أو مائة سنة بالنسبة إلى عمر الأرض، أو عمر الشمس، أو عمر الكون، كما قدره الجيولوجيون وغيرهم بملايين السنين أو بلايينها؟!

QaradawiBooks.com

ولكن ميزة الإنسان أنه لم يخلق لهذه الحياة العاجلة القصيرة. إنه خُلق للخلود، وإنما يعد في هذه الدار للبقاء في دار القرار. وفي هذا يقول عمر بن عبد العزيز: إنكم خلقتم للأبد، وإنما تنقلون ـ أي بعد الموت ـ من دار إلى دار[١]. ويقول الشاعر المؤمن:

لا تظنوا الموت موتًا إنه ليس إلا نقلة من هاهنا[٢]

ويقول الآخر:

وما الموت إلا رحلة غير أنها من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي[٣]

فالموت ليس فناء محضًا، ولا عدمًا صرفًا، كما يُتوَهم، ولو كان الموت عدمًا مطلقًا لم يخلق، مع أن القرآن يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

فلا مجال للعبثية إذن في نظر الإنسان المسلم، وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [صٓ: ٢٧ ـ ٢٨].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣٤)، في خطبة طويلة.

(٢) من شعر علي بن خليل المسفِّر السبتي من قصيدة مطلعها: قل لإخوان رأوني ميتًا، كما في محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار لابن عربي الطائي (٢٢٤/١)، نشر دار اليقظة العربية، ١٩٦٨م.

(٣) البيت لأبي العتاهية. انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ ١٥١، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

QaradawiBooks.com

إن كدح الإنسان في هذه الدار الفانية ليس ضائعًا، إنه غرس يَجتني ثمره يوم يلاقي ربه، وهو ملاقيه لا محالة، فيجزيه الجزاء الأوفى، وهو ما قررته كتب السماء، وأكده القرآن: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۞ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۞ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٣٨ ـ ٤٢].

وما أجمل هذا النداء الرباني المباشر للإنسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

ب ـ إغفال الدار الآخرة:

وعيب النظرة الغربية كذلك أنها تنظر إلى الإنسان من زاوية هذه الحياة الدنيا وحدها، وما لها في الآخرة من خلاق، وكثيرًا ما تنتهي هذه النظرة بالشعور بتفاهة الحياة، وسخافة الوجود، وما معنى أن يعيش الإنسان أيامًا تقصر أو تطول، ثم يُحكم عليه بالإعدام قسرًا، وتُطوى صفحته، وهو ما عبر عنه الدهريون قديمًا حينما لخصوا قصة الحياة بقولهم: إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع! ولا شيء وراء ذلك! أو كما قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾! [الجاثية: ٢٤].

وهو ما عبَّر عنه الملاحدة من الوجوديين وغيرهم من المحدثين القائلين بعبثية الحياة، وفقدان أي معنى للوجود. ولهذا ما وراءه من الضياع والقلق والاكتئاب، وما سماه سارتر «الغثيان».

جـ ـ إغفال جانب العبودية لله:

وعيب النظرة الغربية كذلك للإنسان أنها تعامله على أنه سيد مطلق في الكون، فهي تضفي عليه بعض خصائص الألوهية وصفاتها، فهو

QaradawiBooks.com

يتصرف في الكون وكأنه فيه وحده، فلا يُسأل عما يفعل، ولا يُحاسب على ما يقول. وأغفلت الجانب الآخر من الصورة، وهو أن هذا الإنسان مخلوق لخالق عظيم، ومربوب لرب كبير، خلقه ولم يكن شيئًا مذكورًا، ومنحه العقل، وأعطاه الإرادة، وعلَّمه البيان، وهداه السبيل، وبعث له الرسل، وأنزل عليه الكتب، وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا.

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه سيد في الكون، عبد لله وحده، ولا تنافي بين سيادة الإنسان في الكون وعبوديته لله؛ لأن عبوديته لله وحده تعني تحريره من العبودية لكل ما سواه، فلا عبودية لحجر، ولا بشر ولا فلك، ولا حيوان ولا وهم، ولا شيء في الأرض أو في السماء. وفي هذا كانت دعوة الإسلام إلى الناس كافة: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

هذا التوحيد هو جوهر الإسلام، وهو الأساس الحقيقي لتحرير الإنسان وسيادته في الكون، في ظل عبوديته لله.

وبهذا تكتمل الصورة، وتتجلى الحقيقة: حقيقة هذا المخلوق الذي جاء إلى الحياة بغير اختياره، ويخرج منها بغير اختياره، وهو ـ بين الحياة والموت ـ تحكمه قوانين كونية لا إرادة له فيها، ولا قدرة له عليها، فلا ينبغي له حينئذ أن يتعالى أو يطغى.

وهذا ما أراد القرآن أن يُثبته من أول آيات نزلت من الوحي في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

QaradawiBooks.com

فهذه الآيات الأولى تنوه بالإنسان وصلته بربه الخالق المعلم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾.

ومن أبرز النداءات الإلهية للإنسان في القرآن قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨].

د ـ الزهو بمنجزات الحضارة المادية:

وعيب النظرة الغربية كذلك أنها مزهوة بما أنجز الإنسان الغربي ـ بوساطة العلم ـ في دنيا الحضارة المادية، ألم يقهر الطبيعة! ويحطم الذرَّة، ويغزُ الفضاء؟ ألم يُقرِّب المسافات، ويختصر الزمن، ويُسهِّل الحياة للناس عن طريق الآلة التي تتطور يومًا بعد يوم؟ ألم ينجز «الثورة الإلكترونية» و«الثورة البيولوجية» و«الثورة التكنولوجية» و«ثورة الاتصالات» و«ثورة المعلومات»، إلخ؟!

بلى، قد فعل الغرب ذلك كله. ولكن هل حقَّق ذلك السعادة للإنسان؟ هل سلِم الإنسان من القلق والضياع؟ هل عاش الإنسان يحدوه الأمل والثقة والرجاء؟ هل هيَّأ للإنسان حياة يحقق فيها ذاته، ويُنَمِّي خصائص إنسانيته، ويشعر معها أن لوجوده معنى وهدفًا؟ هل شعر الإنسان بالأمن الرُّوحي وسكينة النفس؟

الواقع أن الإنسان الغربي يطير بجناح واحد، هو جناح «العلم» المادي التطبيقي، وأنه عطَّل الجناح الآخر: جناح الإيمان واليقين، وحقًّا أن العلم الغربي قد هيأ للإنسان سُبل الراحة والرفاهية، ولكنه لم يهيئ له السَّكينة التي هي رُوح الحياة وسر السعادة. لقد أعطاه وسائل وأدوات، ولكنه لم يعطِه مقاصد وغايات.

QaradawiBooks.com

لقد غذَّى العلم جسم الإنسان، ولكنه لم يغذِّ روحه، أشبع معدته بألوان الطعام والشراب، ولكنه عجز أن يُشبع قلبه وجوَّانيته.

استطاع أن يصعد بالإنسان إلى سطح القمر، ولكنه أفلس أن يحل مشكلاته على ظهر الأرض!

ولقد قال أحد الأمريكيين المعاصرين: إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ أننا الجيل الذي رفع إنسانًا إلى القمر، بينما هو غائص ـ إلى ركبتيه ـ في الأوحال والقاذورات[1]!

ولكن الإنسان في نظر الإسلام مخلوق لأهداف أعظم من مجرد الإنجازات المادية.

إنها ـ كما أوجزها الإمام الراغب الأصفهاني ـ ثلاثة:

العبادة لله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الخلافة لله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

العمارة للأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١].

المدرسة الإسلامية للعلوم الإنسانية:

وإذا كانت العلوم الإنسانية في وضعها الغربي المعاصر حافلة بالثغرات التي ذكرناها، فلا يجوز لنا ـ باعتبارنا مسلمين لنا هويتنا الدينية والأخلاقية، والثقافية والحضارية ـ أن نأخذها كما هي على أنها قواعد مُسلَّمة، وحقائق ثابتة، بل ندرسها بعقول متفتحة، وبصائر نيِّرة، غير

(١) نقلًا عن إنسانية الإنسان لرينيه دوبو صـ ٢٣٠، تعريب د. نبيل صبحي الطويل، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م.

QaradawiBooks.com

متعصبين لها ولا عليها، مستفيدين مما فيها من صواب وجوانب إيجابية، متجنبين ما فيها من خطل وزلل، شأنها شأن كل جهد بشري، وكل فكر بشري، فهو يحتمل الصواب والخطأ، والاستقامة والانحراف.

فلا ينبغي لنا الإعراض عنها بالكلية لأنها من إنتاج غير المسلمين، فالعُزلة غير مقبولة، كما لا يجوز لنا أن نأخذها بحذافيرها على أنها حقائق علمية يقينية، فالتقليد الأعمى غير مشروع.

بل يجب أن ندرسها ونهضمها، ثم نُعمِل فيها ـ على ضوء عقائدنا وقيمنا ومفاهيمنا ـ يد التعديل والتنقيح، والحذف والإضافة.

وبعبارة أخرى: يجب أن تكون لنا مدارسنا المعبرة عنا في هذه العلوم:

«المدرسة الإسلامية في علم النفس»[١].

و«المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع».

و«المدرسة الإسلامية في علم التربية».

و«المدرسة الإسلامية في علم التاريخ».

وهكذا في سائر العلوم الإنسانية والاجتماعية. وهذا واجب علينا وجوب كفاية، حتى نكون بحق «أمة وسطا» ونكون ـ كما أراد الله لنا ـ شهداء على الناس.

* * *

(١) أوثر هذا التعبير «المدرسة الإسلامية في علم كذا)، بدل تعبير «علم النفس الإسلامي»، أو «علم الاجتماع الإسلامي»، ونحوها.

QaradawiBooks.com

العلم المباح والعلم المذموم

ومن أقسام العلم التي ذكرها الغزالي في «الإحياء»: العلم المباح شرعًا، والعلم المذموم شرعًا[١].

العلم المُباح:

أما العلم المباح، فضرب له الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ مثلًا بالعلم بالأشعار، التي لا سخف فيها، والعلم بتواريخ الأخبار وما يجري مجراه.

وهذا إذا كان بالنسبة للأفراد فهو مسلّم، فهو في حقهم من المباح، الذي يمكن أن يتحول إلى طاعة بالنية الصالحة، بمعنى أن يقصد بتعلمه خدمة الدين، وإرضاء الله تعالى، وقد يصبح تعلمها واجبًا على بعض الناس، لاعتبارات معينة، كما بينا في كتابنا «ثقافة الداعية»: أن الدراسة اللغوية والأدبية، والدراسة التاريخية ـ وخصوصًا التاريخ الإسلامي ـ بدءًا من السيرة النبوية وتاريخ الراشدين، وتاريخ العلماء والمصلحين ـ ودراسة العلوم الإنسانية... كلها من الأدوات الضرورية للداعية. فهي واجبة وجوب الوسائل، أي أنها من «العلوم الآلية»[٢].

(١) إحياء علوم الدين (١٦/١) وما بعدها.

(٢) ثقافة الداعية صـ ٩٩ ـ ١٢٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأما بالنسبة للأمة ـ والحديث عن الفروض الكفائية الواجبة عليها ـ فأعتقد أن دراسة الأشعار والأدب ـ بفنونه المختلفة، ومنها: النقد الأدبي ـ وكذلك دراسة التاريخ بتخصصاته المتعددة، وشعبه المتنوعة من الفروض الكفائية على الأمة، فلا بد أن يوجد فيها متخصصون ملتزمون في هذه المجالات، يعبرون عن فلسفة الأمة وقيمها وحضارتها، ويجعلون من دراستهم أداة بناء لها، لا معول هدم لكيانها.

ولو ترك هذا المجال فارغًا لملأه المتغربون الذين تتلمذوا على خصوم الإسلام، وتكونت مفاهيمهم خارج أرض الأمة، وهذه الفئة لا تهتم بدينها ولا قيمها، ولا برسالتها ولا تراثها، بل تعادي ذلك كله.

وهذا ما عانيناه من ذوي الغرض والهوى من المستشرقين من الغربيين، والمستغربين من أبنائنا، الذين لم يتحصنوا بالعلم النافع، والإيمان الصادق، والخلق المتين، من المنتمين إلى اليسار من الماركسيين، أو إلى اليمين من الليبراليين، وكلاهما من العلمانيين، الذين يؤمنون بعزل الدين عن الحياة، إن لم يُحارب بغير هوادة.

وكل علم من فروض الكفاية على الأمة يعتبر تحصيله من المباح المشروع بالنسبة للأفراد، إذا وجد عدد كاف يقوم بفرض الكفاية، ويسدون الحاجة؛ بل يصبح هذا الأمر الجائز المباح قُربة وعبادة لله، إذا صحت فيه النية وابتُغِي به وجه الله ﷻ.

العلم المذموم:

وذكر الإمام الغزالي هنا المذموم من العلم، ومثَّل له بعلم «السحر والطلسمات»، وعلم «الشعوذة والتلبيسات»[1].

(١) إحياء علوم الدين (٣٩/١).

QaradawiBooks.com

وهذا صحيح... فقد ذكر الله السحر في كتابه وذمَّه أبلغ الذم، وقال على لسان الملكين اللذين يعلمان الناس السحر: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال في شأن تعلمه: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

واعتبر النبي ﷺ السِّحر من السبع الموبقات[١]، أي المهلكات للفرد والجماعة في الدنيا وفي الآخرة.

ومثل ذلك كل علم لا يقوم على أساس صحيح، أي لا يسنده حس ولا عقل ولا نقل، أو لا ينفع الناس في دينهم ولا دنياهم، بل يعود عليهم بالضرر المادي أو المعنوي.

ومن ذلك: علم التنجيم، الذي يُدَّعى فيه معرفة الغيوب، وكشف المستقبل بواسطة النجوم، فهذا مُحرَّم؛ لأنه ضرب من السحر، كما جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس عن النبي ﷺ: «**ومن اقتبس علمًا من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»[٢].

فهذا العلم لا يقوم على أساس منطقي أو تجريبي، وإن صدق فبالاتفاق والمصادفة، ولذا قيل: كذب المنجمون ولو صدقوا!

وهذا بخلاف «علم الفلك» المبني على أسس رياضية وتجريبية، وقد برع المسلمون فيه أيام ازدهار حضارتهم، وبرع الغربيون فيه اليوم،

(١) في حديث أبي هريرة المتفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩): «اجتنبوا السبع الموبقات» وعدَّ منها: «السحر».

(٢) رواه أحمد (٢٨٤٠)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الطب (٣٩٠٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٢٦)، وصححه إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٧١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٠٥).

QaradawiBooks.com

وعلى أساسه استطاعوا الوصول إلى القمر، ويحاولون الوصول إلى الكواكب البعيدة.

أما «الشعوذة والتلبيسات» فليست علمًا من العلوم، يقوم على أي أساس من منطق العقل أو الحس أو الوحي، وإنما هي ـ كما يقول اسمها ـ أمور تقوم على التمويه والتزوير والتلبيس. فهي أولى أن تنسب إلى الجهل لا إلى العلم، فإن العلم منها براء.

ومن العلم المذموم: كل علم لا يقوم على أساس صحيح، لا من تجربة تقوم على الحس، ولا من برهان يقوم على العقل، ولا من دليل نقلي يستند إلى الوحي، إنما يعتمد على الأوهام والخرافات التي تروج بين العوام، وأشباه العوام، كالذي يروجه كهنة الأديان الوثنية وأمثالهم، ومثل ذلك المعارف التي تقوم ـ في أصولها ـ على محض الظنون والتخرصات، مثل علم «تحضير الأرواح» ونحوه، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا. فما بالك بما هو أضعف من الظنون، وهي الأوهام؟!

* * *

غير مراجعة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

واجبات طلبة العلم

الفقه وحُسن الفهم:

أول واجبات العلم على طالبــه أو صاحبه: أن يبذل فيه جهده، حتى يُحكمه ويُتقنه ويَهضمه، وينتقل به مــن مرتبة «العلم» إلى مرتبة «الفقه» الفقه بالمعنــى القرآني والنبوي، لا بالمعنــى الاصطلاحي، الذي معناه تحصيل علم الفروع على مذهب من المذاهب.

والفقه بهذا المعنى المنشــود أخص من العلــم؛ لأن معناه لغة: دقة الفهم والتفطن وحســن الإدراك، ومقتضى هذا ألا يقــف عند الظواهر، وإنما يغوص إلى المقاصد، وألا تشــغله الألفاظ عما وراءها من معانٍ، وألَّا تُغرقه الجزئيات فينسى الكليات.

والقرآن طلب منا النَّفيــر للتفقه في الدين لا لمجــرد التعلم، فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والحديث النبوي المتفق عليه يقــول: «**مَنْ يرد الله به خيرًا يُفقهه في الدِّين**»[(١)].

(١) سبق تخريجه صـ ٥٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأول مراتب هذا الفقه: أن ينتقل من الرواية إلى الدراية، من الحفظ إلى الفهم، فيفهم عن الله ورسوله مرادهما، ويسأل أهل العلم ويحاورهم حتى يفهم ويفقه.

وقد قال سلفنا: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما هو نور يقذفه الله في القلب.

وفي الحديث الشريف: «**رُبَّ حامل فقه ليس بفقيه**»[١].

والقرآن الكريم قد صوَّر لنا الذي يحمل العلم ولا يفقهه ولا يفهم أسراره، بالحمار الذي يحمل نفائس الأسفار (أي الكتب) ولا يدري عما تحتويه شيئًا، وهذا ما وصف به القرآن اليهود في عصر النبوة حين قال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥].

وفي حديث الصحيحين عن أبي موسى[٢] تشبيه العالم الفاهم المعلِّم بالأرض الطيبة التي قبلت الماء الذي نزل عليها من السماء، فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، وانتفع الناس بها، كما شبَّه العالم الراوي بالأرض

(١) جزء من حديث رُوي بصيغ مختلفة: رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وقال: حسن. كلاهما في العلم، عن زيد بن ثابت. ورواه أحمد (٤١٥٧)، وقال مخرجوه: صحيح. والترمذي في العلم (٢٦٥٧)، وقال حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٢٣٢)، عن ابن مسعود.

(٢) إشارة إلى حديث: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان: لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٩)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٢).

QaradawiBooks.com

التي لم تقبل الماء، ولكنها احتفظت به، فشرب الناس منه، وسقوا وزرعوا، ففرَّق الحديث بين العلماء الوعاة، والعلماء الرواة، ومن هنا ركز علماء السَّلَف على الدراية أكثر من الرواية[1].

إن آفة كثير من المشتغلين بعلم الدين خاصة هو «الحرفية» في فهم نصوصه، وجمودهم على ظواهر ألفاظه، وعدم وقوفهم على أسراره؛ لأنهم دون هذه المرتبة بحكم مؤهلاتهم العقلية والنفسية، ولكن مشكلتهم أنهم يضعون أنفسهم في زُمرة «الأئمة»، ويتصدرون الصفوف للدعوة والتعليم والإفتاء!

وهؤلاء عادة يعوقون عملية الترشيد للمجتمعات، ويقفون عقبة في طريق الإصلاح والتجديد الإسلامي، وكثيرًا ما شكا منهم المجدِّدون الأصلاء قديمًا وحديثًا.

ولقد رأيناهم أشد على دعاة التجديد والإصلاح من «العلمانيين» وخصوم الدين في بعض الأحيان، وقديمًا قالوا: عدو عاقل خير من صديق أحمق.

الترقي عن التقليد:

وثاني مراتب الفقه المطلوب أن يرقى طالب العلم عن التقليد للغير إلى الفهم المستقل، وأن يفكر برأسه هو لا برأس أحد سواه، حيًّا كان أو ميتًا، فإن الله منحه العقل ليتفكر به ويتدبر، لا ليُجمِّده ويعطله.

وقد قال الإمام ابن الجوزي كلمة مضيئة ينبغي أن نعيها لتُروى، ونرويها لتُحفظ، ونحفظها لتنفذ، قال في ذم التقليد والمقلِّدين في كتابه

(١) انظر كتابنا: في فقه الأولويات صـ ٥٧ ـ ٦٢، تقديم الفهم على الحفظ، والمقاصد على الظواهر، والاجتهاد على التقليد، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٨، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

«تلبيس إبليس»: «اعلم أن المقلِّد على غير ثقة فيما قلَّد، وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه خُلق للتدبر والتأمل، وقبيح بمن أعطي شمعة أن يُطفئها ويمشي في الظلمة»!

وعلماء المسلمين المحققون لم يعتبروا التقليد علمًا، إنما العلم ما جاء عن طريق الحُجة والاستدلال.

لقد شنَّ القرآن حربًا عنيفة على «المقلِّدين» الذين حقروا أنفسهم، وألغَوْا عقولهم، متبعين أجدادهم وآباءهم، أو سادتهم وكبراءهم، فيما اعتقدوه من عقائد، وما اعتنقوه من أفكار، وسفَّههم القرآن أبلغ تسفيه، في سور عِدَّة من القرآن المكي والمدني.

ويكفينا قوله تعالى في ذم تقليد الآباء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۞ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠ ـ ١٧١].

وفي ذم تقليد الكبراء قوله سبحانه ـ على لسان أهل النار ـ: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨].

وفي سورة الأعراف تتحدث الآية عن أهل النار، وتَلاوُم الأتباع والمتبوعين فيها وتلاعنهم، فتقول: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

والتقليد ـ كما يعرِّفونه ـ أن تأخذ قول الغير بغير حُجَّة بيِّنة تؤيده، فربما لم تكن معه حُجَّة قط. وربما كانت معه حُجَّة واهية لا تقف أمام حُجج من يعارضه. ومصدر ذلك: التعظيم أو التقديس لذلك الغير، أضفاه عليه المقلِّد التابع، فرضي لنفسه أن يكون ذيلًا، وقد خلقه الله رأسًا، وأن يكون عبدًا في فكره، وقد خلقه الله حرًّا.

واتباع الوحي ليس من التقليد في شيء، بعد أن ثبت بالبراهين العقلية القاطعة نبوة النبي، وإلهية القرآن، بعد ثبوت ربوبية الرب الخالق المعلِّم الأكرم، وثبوت إلهية الإله العليم الحكيم، الرحمن الرحيم، الذي ينافي حكمته ورحمته أن يدع خلقه هملًا، ويتركهم سدى.

وبعد ثبوت الوحي بالقواطع العقلية، يعزل العقل نفسه ـ بتعبير الإمام الغزالي ـ ليتلقى الهداية الإلهية التي تصحح للعقل أخطاءه، وتهديه فيما ليس له إليه سبيل من الإلهيات والغيبيات، وتضع الموازين والضوابط فيما يحتاج إليه، وتدع له حق التفسير والتعليل فيما أنزل إليه، مهتديًا بما بُيِّن له من ضوابط.. وتطلق له العنان في اكتشاف ما في الكون وتسخيره، بعقل المؤمن، وتفكير المهتدي بهُدَى الله.

إن أشد شيء على العقل خطرًا ـ بعد اتباع الهوى ـ هو التقليد الأعمى، الذي لا نزال نراه في حياتنا في صور شَتَّى.

فهناك مَنْ باعوا عقولهم ـ أو تنازلوا عنها بغير ثمن ـ لغيرهم ممن يعظمونهم من القدماء أو المحدَثين.

هناك من المشتغلين بالفقه من باعوا عقولهم أو تنازلوا عنها لأئمتهم المتقدمين، أو شيوخهم المتأخرين من الفقهاء.

QaradawiBooks.com

وهناك من المشتغلين بالكلام والعقائد مَنْ باعوا عقولهم أو تنازلوا عنها لأئمتهم أو شيوخهم من السَّلَف أو الخَلَف.

وهناك من المشتغلين بالسلوك والتصوف مَنْ باعوا عقولهم لأئمتهم أو شيوخهم، وتركوا أنفسهم بين أيديهم كالميت بين يدي الغاسل.

وفي مقابل هؤلاء نجد آخرين من المغتربين، باعوا عقولهم أيضًا أو تنازلوا عنها ـ بغير ثمن ـ لأئمتهم وشيوخهم في الغرب!

دعاة «الليبرالية» باعوا عقولهم لأئمة الليبراليين! طالبين منا أن نتبعهم في الخير والشر، والحلو والمر، وما يُحمد وما يُعاب.

ودعاة «الماركسية» ـ التي هُزِمت في عقر دارها ـ باعوا عقولهم لشيوخ الماركسية وأئمتها، وطالبونا أن نتخذ فلسفتها مصدرًا للهداية والتشريع.

وكل دعاة الأيديولوجيات والفلسفات الوضعية المختلفة باعوا لها عقولهم، ودَعَوْنا إلى أن نلغي عقولنا معهم، لنتبع مناهجهم وأهدافهم شبرًا بشبر، ولم يحاول هؤلاء ولا أولئك أن يحرروا عقولهم من التبعية، وأن يمتحنوا مذاهب أئمتهم، وأفكار سادتهم وكبرائهم، ويعرضوها على قواطع العقل، وثوابت الوحي، ليعرف صحيحها من زيفها، وجيدها من رديئها، وحقها من باطلها، فيهتدوا بالحق، ويعرضوا عن الضلال... ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

إن الواجب على المسلم: أن يطلب الحق ويعرفه بالدليل الذي يقتنع به عقله، ويطمئن إليه قلبه، وأن يكون أسير الحُجَّة لا الهوى ولا التقليد الأعمى، وأن يحرر عقله من العبودية للآخرين، الغرباء في المكان، أو الغرباء في الزمان.

QaradawiBooks.com

لا يجوز للغرباء أن يتحكموا في أهل الدار، ولا ينبغي للأموات أن يحكموا الأحياء، وأن يفتوا في أخصّ أُمورهم، وهم في بطون قبورهم!

العمل بالعلم:

ومن واجب العلم على صاحبه أن يعمل بموجبه، فالعلم بالعبادات يقتضي أن يؤديها على وجهها، مستوفية شروطها وأركانها، خالصة لوجه الله تعالى. والعلم بالمعاملات يقتضي أن يقوم بها في حدود الحلال، بعيدة عن الحرام، مستكملة الشروط والأركان. والعلم بالأخلاق يقتضي أن يتحلَّى بفضائلها ويتخلَّى عن رذائلها. والعلم بطريق الآخرة يقتضي أن يعد لها عدتها، ويسعى لها سعيها، ويحذر من قواطع الطريق التي تعمل على أن تثبط إرادته، وتعوق حركته.

ولا يقتصر هذا على علم الدين وحده، بل يشمل علوم الدنيا كذلك؛ فالطبيب الذي يحاضر عن أضرار التدخين وهو يدخن، والاقتصادي الذي يحذر من الإسراف في الاستهلاك، وهو مسرف، والاجتماعي الذي يطالب بالمشاركة في خدمة المجتمع، وهو يعيش لنفسه. كل هؤلاء لم يعملوا بمقتضى علمهم، وهم في موضع الذم عند الله وعند الناس. والواجب على كل منهم أن يعمل بمقتضى علمه، وأن يكون في ذلك أسوة لغيره.

وبهذا يكون العلم حُجَّة له، لا حُجَّة عليه، ويستطيع أن يجد للسؤال جوابًا، إذا سُئِل يوم القيامة «عن علمه ماذا عمل فيه؟».

فعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيمَ أفناه؟ وعن علمه فيمَ**

QaradawiBooks.com

فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمه فيمَ أبلاه»[1].

ولا يكون ذلك العالم الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، وأخلد إلى الأرض، واتبع هواه، فضربه الله مثلًا بالكلب في أسوأ صورة له: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

وإنما ينتصر الدين، وترتقي الدنيا، بالعلماء العاملين، الذين يؤيد عملهم علمهم، وتصدق أفعالهم وأقوالهم، فهم يؤثرون في الناس بسلوكهم وحالهم، أكثر مما يؤثرون بكلامهم، ولهذا قيل: حال رجل في ألف رجل، أبلغ من مقال ألف رجل في رجل!

وإنَّ من شرِّ ما تُبتلى به الحياة، ويُبتلى به الناس: العالم الذي يناقض عمله علمه، ويكذب فعله قوله، فهو فتنة لعباد الله، وهو الذي حذَّر القرآن منه أهل الإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

ووبَّخ القرآن بني إسرائيل بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

ولا غرو أن استعاذ النبي ﷺ من العلم الذي لا ينفع.. فعن زيد بن أرقم، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهُمَّ إني أعوذ بك من علم**

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦).

QaradawiBooks.com

لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»[١].

وعن أسامة بن زيد، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلقُ أقتابه** (أي تخرج أمعاؤه من مكانها)، **فيدور بها، كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان؛ ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه**»[٢]!

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار. قال: قلت من هؤلاء؟ قالوا: خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون**»[٣]!

وصوَّر النبي ﷺ العالم الذي ينفع الناس بعلمه ولا ينتفع به تصويرًا بليغًا، حين قال: «**مثل الذي يُعلِّم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل الفتيلة** (يعني: السراج، أو الشمعة) **تضيء للناس، وتُحرق نفسها**»[٤]!

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان**»[٥].

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٩٨)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٩).

(٣) رواه أحمد (١٢٢١١)، وقال مخرجوه: صحيح. وابن حبان في الإسراء (٥٣).

(٤) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٦٩): رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن جابر السحيمي، وهو ضعيف لسوء حفظه واختلاطه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٣٧)، عن أبي برزة.

(٥) رواه البزار (٣٥١٤)، وابن حبان في العلم (٨٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط =

QaradawiBooks.com

وسر هذا الخوف أن هذا المنافق مزوَّق الظاهر، خرب الباطن، حلو اللسان، مر العمل، فهو يغر الناس بظاهر علمه، ويسحرهم بمعسول كلامه، وقلبه خاوٍ من اليقين. فالمنافق الجاهل ليس من ورائه خطر يُذكر، إنما الخطر في هذا المنافق العليم اللسان.

وعن عمر بن الخطاب قال: حذَّرنا رسول الله ﷺ من كل منافق عليم اللسان[١].

ولهذا كان عمر كثيرًا ما يستعيذ بالله من المنافق العليم، وقد سُئل: كيف يكون منافقًا وعليمًا؟ قال: عالم اللِّسان، جاهل القلب[٢]!

وقال عليُّ بن أبي طالب: قصم ظهري رجلان: جاهل متنسِّك، وعالِم متهتك، ذاك يغر الناس بتنسكه، وهذا يضلهم بتهتكه[٣]!

* * *

= البخاري. والطبراني (٢٣٧/١٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٥١٤): ورواته محتج بهم في الصحيح.

(١) رواه أحمد (١٤٣)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. والبزار (٣٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٧/١): رواه البزار وأحمد وأبو يعلى، ورجاله موثقون.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٣).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصبهاني صـ ١٨٤، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

تعليم العلم ونشره في الناس

ومن حق العلم على العالم أن يُعلِّمه للآخرين، فقد علَّمنا الإسلام أن في كل نعمة زكاة، فإذا كانت زكاة المال أن تنفق منه للمحتاجين، فإن زكاة العلم أن تُعلِّمه للآخرين، وهذا هو شأن «الربَّانيين» الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ولهذا قال السلف: الرَّباني هو مَنْ يتعلم، ويعمل، ويُعلِّم.

ورووا عن المسيح قوله: من عَلِم وعمل وعلَّم، فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماء[(١)]!

وفي صحيح البخاري عن عثمان أن النبي ﷺ قال: «**خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلمه**»[(٢)].

ولقد تعلَّمنا من القرآن أن الله تبارك وتعالى هو المعلِّم الأول لخلقه، فهو الذي ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤]، وهو الذي علَّم أنبياءه ورسله ليعلِّموا أممهم، فعلم آدم الأسماء كلها، وعلَّم إبراهيم، وعلَّم

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٣/٦)، عن ثور الحمصي.

(٢) سبق تخريجه صـ ٦٩.

يعقوب، وعلَّم يوسف من تأويل الأحاديث، وعلَّم موسى، وداود وسليمان والمسيح، وعلَّم محمدًا ما لم يكن يعلم.

وكان هؤلاء الرسل مُعلِّمين لأقوامهم، مُبلِّغين عن ربهم، مبشِّرين ومنذرين، وآخرهم محمد، الذي ذكر الله رسالته في أربع آيات من كتابه يبين فيها أن مهمته الأساسية مهمة تعليمية تزكوية، ويكفي أن نقرأ قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقال ﷺ عن نفسه: «**إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني مُعلمًا مُيسرًا**»(١).

فمَن أراد أن يتصف بصفة من صفات الله تعالى، وأن يتأسى برسله الكرام، وبرسوله الخاتم الكريم، فليعلِّم الآخرين.

فعن أبي أُمامة قال: ذُكِرَ لرسول الله ﷺ رجلان، أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»، ثم قال: «**إن الله وملائكته، وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلُّون على مُعلِّم الناس الخير**»(٢).

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالًا، فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(٣).

---

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد (١٤٥١٦)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٣)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨١٦).

QaradawiBooks.com

والحسد يُطلق ويُراد به تمني زوال النعمة عن المحسود، وهذا حرام ما لم يكن يستخدمها في معصية الله. ويُطلق ويُراد به: الغبطة، وهو: أن يتمنى أن يكون مثله، وهذا محمود، وهو المراد هنا.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فهم يتفقهون في الدين ليُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، والإنذار: تعليم وإرشاد، مقرون بالترغيب والترهيب.

وقد حثَّ رسول الله ﷺ أصحابه، على أن يُبلِّغوا عنه كل ما يأخذونه عنه من قرآن أو حديث.

روى عنه عبد الله بن عمرو: «**بلغوا عني ولو آية**»[(١)].

وروى عنه ابن مسعود: «**نضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا، فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع**»[(٢)].

وروى عنه جبير بن مطعم: «**نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها، وبلَّغها من لم يسمعها، فرُبَّ حامل فقه لا فقه له، ورُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦١)، وأحمد (٦٤٨٦).

(٢) رواه أحمد (٤١٥٧)، وقال مخرجوه: صحيح. والترمذي في العلم (٢٦٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٢٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦٤).

(٣) رواه أحمد (١٦٧٥٤)، وقال: صحيح لغيره. وابن ماجه في المقدمة (٢٣٦)، والطبراني (١٢٦/٢)، مختصرا، والحاكم في العلم (٨٦/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

نبَّه الحديث على أن حامل العلم قد يحفظـه، ولكنه غير قادر على الاســتنباط منه، فهو ينقله إلى غيره ممن هو أفقه على استخراج الحكم منه. فيشاركه في الأجر.

وكل من علَّم العلم أو بلَّغه ونشره، فله أجر من انتفع به، إذا صحَّت بذلك نيته، وابتغى وجه الله فيه، فعن أبي هريرة، أن رســول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدًى كان له مــن الأجر مثل أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»(١).

وقال النبي ﷺ لعلي: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعم**»(٢). والنعم: الإبل. وحُمْرها: أغلاها وأنفسها عند العرب.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**على خلفائي رحمة الله**» قيل: ومَن خلفاؤك؟ قال: «**الذين يحيون سُنَّتي، ويُعلمونها عباد الله**»(٣).

وهكذا مضى الربانيون من علماء الأمة هداة معلِّمين، لا يضنون بعلم على من طلبه، بل يكرهون أن يحيوا ولا يستفيد منهم أحد.

قال عطــاء: دخلتُ على ســعيد بن المســيب وهو يبكــي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: ليس أحد يسألني عن شيء(٤)!

(١) رواه مسـلم في العلم (٢٦٧٤)، وأحمد (٩١٦٠)، وأبو داود في السنة (٤٦٠٩)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والســير (٢٩٤٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، عن سهل بن سعد.

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٢٠)، والهروي في ذم الكلام (٦٩٥)، عن الحسن.

(٤) إحياء علوم الدين (١١/١).

QaradawiBooks.com

وقدم سفيان الثوري عسقلان، فمكث أيامًا لا يسأله إنسان. فقال: اكْرُوا لي (أي: استأجروا لي دابة) لأخرج من هذا البلد. هذا بلد يموت فيه العلم[١]!

وقال الحسن: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم! أي أن العلماء يخرجونهم بالتعليم، من حد البهيمية إلى حد الإنسانية[٢].

وقال يحيى بن معاذ: العلماء أرحم بأمَّة محمد من آبائهم وأُمهاتهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة[٣].

وكل من ساهم بجهد أو مال في نفع الناس بالعلم؛ بالنسخ أو الطباعة أو النشر، أو وقف الكتب، أو إنشاء المكتبات، أو نشر الأشرطة المسموعة والمرئية، أو استخدام شبكة الإنترنت ونحوها ـ ناهيك بإنشاء المادة العلمية وتأليفها شفاهًا أو كتابة ـ كل هؤلاء لهم نصيبهم من الأجر على قدر نيتهم. ولا يضيع الله أجر من أحسن عملًا.

* * *

(١) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٤٩).
(٢) إحياء علوم الدين (١١/١).
(٣) إحياء علوم الدين (١١/١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

وجوب البيان وتحريم الكتمان

وكما يحرم على الإنسان أن يقول ما لا يعلم في دين الله، فإنه يحرم عليه أن يكتم ما يعلم، مما ينفع الله بـه الناس من البيِّنات والهدى، فإن زكاة العلم ـ كما ذكرنا ـ نشره وبثه، لا كنزه وحبسه.

قال تعالـى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

والآيتان نزلتا في شأن أهل الكتاب، من أحبار اليهود ورهبان النصارى، الذين كتموا صفات النبي ﷺ في كتبهم، بالحذف أو الإخفاء أو التحريف. ولكن اللفظ عام يشمل كل مَن كتم من دين الله علمًا يُحتاج إلى بثِّه.

فلا يجوز للعالم بحال أن يقصد إلى كتمان العلم النافع، ومن قصد ذلك فهو عاصٍ آثم، وإذا لم يقصد إلى الكتمان وكان في الناس من يقوم بواجب البيـان والتبليغ والدعوة، فقد رُفع عنـه الإثم، فإن البيان فرض كفاية إذا قام به البعض سـقط الحـرج عن الباقين، وهـذا إذا كان عدد المبلِّغين والدعاة من الكفاية بحيث تكون منهم «أُمّة» أي جماعة وقوة، كما أمر الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويتعين البيان على العالم إذا سأله سائل يسترشد عن أمر من أمور دينه العاجلة، مما لا يسعه تأخيره، ولا يحل له الكتمان هنا، اتكالًا على غيره، حتى لا يضيع المسلم بين هذا وذاك، ما لم يكن ذلك فوق طاقته وقدرته.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سُئِل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار**»[1].

ذلك أن من حق السائل المتعلم على العالم أن يجيبه ويعلمه، ما لم يكن متعنتًا ولا متنطعًا، يتتبع الغرائب وأُغلوطات المسائل، فقد ورد النهي عن هذه الأغلوطات، وأدَّب عمر سائلًا عُرِف بذلك.

كما يحرم على العالم المسلم السكوت عن البيان العلمي باللسان أو القلم، إذا ترتب على سكوته التباس الحق بالباطل، واشتباه الحلال بالحرام، واختلاط المعروف بالمنكر، فيلزمه هنا البيان، إزالة للبس، وإيضاحًا للحق، فإن البيان هنا من باب الشهادة التي يحرم كتمانها: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقد ضرب القرآن لنا مثلًا بعلماء السوء من اليهود والنصارى الذين كتموا ما أنزل الله ابتغاء عَرَض الدنيا، فلعنهم الله، ليكون ذلك لنا عبرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾

(١) رواه أحمد (٧٥٧١)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وقال: حسن. كلاهما في العلم، وابن ماجه في المقدمة (٢٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٤).

QaradawiBooks.com

[آل عمران: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٤ ـ ١٧٥].

وإن في هذا الوعيد الشديد لتذكرة لمن يلبسون لباس العلماء، من الذين يجارون الملوك الفاسقين، والرؤساء الظالمين، ويكتمون الحق وهم يعلمون، فكيف بالذين يحلُّون لهم الحرام، ويسقطون عنهم الفرائض، ويمدونهم بالفتاوى الجاهزة لكل بدعة يبتدعون، وكل منكر يقترفون؟!

تحريم نشر العلم أو الفكر الضار:

وإذا كان تعليم العلم النافع ونشره على أوسع نطاق واجبًا شرعًا، وكان كتمانه عن طالبه والمحتاج إليه حرامًا يوجب اللعنة على كاتمه، فإن نشر العلم أو الفكر الضار بالناس في دينهم أو دنياهم: حرام ومنكر، وتجب مقاومته؛ حماية للناس من شره. وهذا واجب الراسخين من أهل العلم والفكر، وواجب الدولة معهم.

وإذا كانت الدولة تحمي مواطنيها من «المخدرات» التي تغيب عقولهم، وتدمر شخصيتهم، فأوجب عليها أن تحميهم من سموم «المخدرات العقلية» التي تغيب وعي الناس بحقائق الدين والحياة، والكون والإنسان، والتي تضللهم عن الغاية، وتبعدهم عن الطريق القويم.

QaradawiBooks.com

ومن ذلك: الكتب التي تنشر الأساطير والخرافات باسم الدين، مما لا يعتمد على عقل صريح أو نقل صحيح، وإنما عمدتها الأحاديث الموضوعة، والحكايات المكذوبة، والإسرائيليات المضللة، والمبالغات المرذولة.

ومنها: كتب دعاة «التنصير» وأشباههم، الذين يلفقون الأكاذيب حول الإسلام، ونبيه، وكتابه، وعقيدته، وشريعته، ورجاله، وتراثه، وحضارته.

ومنها: كتب العِلمانيين، ودعاة «الغزو الفكري» الذين يريدون أن يسلخوا الأمة من جلدها ويخرجوها من هويتها، حتى تتنكر لدينها وقيمها ومواريثها الثقافية، وبذلك يسهل اختراقها من داخلها وتحويلها إلى أمة أخرى تدور في فلكهم، وتسير في ركابهم، وبهذا تجد توافقًا بين هذا الفريق والذي قبله؛ لأن الوجهة واحدة: تغيير هوية الأمة.

يعمل هؤلاء وأولئك على زعزعة العقيدة وتشويه الشريعة وتمييع السلوك، والنتيجة: تحطيم روح الأمة، وإذابة مقوماتها، وتهديم حصونها من الداخل.

لا يكتفي هؤلاء بالكتب لنشر أفكارهم المسمومة؛ بل يعتمدون كل الوسائل الممكنة، مشروعة أو غير مشروعة، من الكلمة المقروءة، والكلمة المسموعة، والكلمة المرئية، وشبكة الإنترنت، ويسخرون الأجهزة الحديثة لغايتهم، من الصحافة والإذاعة، والتلفاز والمسرح، والسينما وغيرها، فهم يحملون وزرهم ووزر من أضلوه إلى يوم القيامة.

كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]. وهي أثقال من أضلوهم عن سواء السبيل.

وفي الحديث الصحيح: «**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[(١)].

وعلى علماء الأمة ومفكريها أن يكشفوا زيف هذا الفكر، ويبينوا عواره وبطلانه، إذا أتيحت له الفرصة للظهور، كما هو مشاهد اليوم، حتى إنه تمكن من بعض الأجهزة وسيَّرها لحسابه، تسنده في ذلك قُوى خفية وظاهرة، من الداخل والخارج.

ولكن مناعة الأمة الذاتية أقوى، إذا وجدت من يُبصّرها ويضيء لها الطريق، من العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، وهم موجودون أبدًا ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

* * *

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٢، وأوله: «من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه».

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الوقوف عند ما يعلم

ومن الواجبات المفروضة على العالم أن يقف عند حدود علمه، ولا يتطاول إلى ما ليس من شأنه، ولا في طاقته. كالعلم بكُنْه الذات الإلهية، فإن الإنسان قد عجز عن معرفة كُنْه نفسه، فكيف يطمع في معرفة كُنْه ربه ﷻ؟ وقد قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وكذلك معرفة الغيب المطلق الذي استأثر الله بعلمه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

ومن ذلك علم الساعة الذي لم يُطلع الله عليه مَلَكًا مُقرَّبًا ولا نبيًّا مرسلًا، وقال النبي ﷺ لجبريل حين سأله عنها: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[1]، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وأولى بالإنسان أن يدَّخر طاقته العقلية ليبذلها فيما يستطيعه، وفيما يعود عليه بالخير في دينه ودنياه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ويجب على العالم المسلم إذا سُئل عما لا يعلم، أن يقول: لا أعلم. فليس في العلم كبير، وفوق كل ذي علم عليم. وليس هناك من أحاط بكل شيء علمًا غير الله سبحانه، وكل بشر يعلم شيئًا وتغيب عنه أشياء. وقد سُئِل النبي ﷺ عن أشياء، فلم يُجب عنها حتى نزل عليه الوحي.

وقال ابن مسعود: إن الذي يُفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون[١]!

وقال غيره: من قال: «لا أدري» فقد أجاب. ومن أخطأ قول «لا أدري» أصيبت مقاتله[٢]!

وكم سُئل من كبار الأئمة ـ مثل الإمام مالك ـ فلم يستنكف أن يقول: لا أدري[٣].

وكان الصحابة إذا استُفتوا أحال كل منهم السائل على صاحبه، خشية من تبِعة الفتوى.

وكان ابن عمر يتهيب الفتوى، ويقول لمن سأله: اذهب إلى الأمير فاسأله. ويقول لصاحبه: أتدري ماذا يريد هؤلاء؟ يريدون أن يتخذوا ظهورنا جسرًا إلى جهنم[٤]!

وبكى بعض علماء السَّلف، فسُئل في ذلك، فقال: استُفتي اليوم من لا عِلم عنده!

فكيف لو شاهد عصرنا، ورأى مَن يُستَفتَون، ومن يُفتُون؟!

---

(١) رواه ابن المنذر في الأوسط (٨٣٠٧).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥٨١)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٨١٣)، عن ابن عباس.

(٣) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (٣٣٨/٢)، نشر مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٢).

QaradawiBooks.com

ولقد ابتلينا في عصرنا ببعض المجترئين الذين استباحوا حِمى الشريعة، وأمسوا يحلِّلون ويحرِّمون، ويوجبون ويسقطون، ويُبدِّعون ويُفَسِّقون، بل يُكَفِّرُون، لمجرد أنهم قرؤوا بعض الكتب، لبعض العلماء، وفي بعض العلوم، ولم يعيشوا في جو العلم، ولا طلبوه من شيوخه، ولم يتقنوا أدواته، ولم يملكوا مفاتيحه، ومع هذا أفتوا في أعوص المسائل، وحكموا في أغمض القضايا، واعترضوا على أكابر العلماء، وطعنوا في أئمة المذاهب، وساوَوْا رؤوسهم برؤوس الصحابة والتابعين، وقال قائلهم: هم رجال ونحن رجال!

وهذا هو الذي يؤذن بضياع الدين، وخراب الدُّنيا، كما في الحديث المتفق عليه: «**إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا، فأفتوا بغير علم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا**»[(١)].

وأشد الأمور خطرًا أن يفتي المرء فيما لا يعلمه ويستيقنه من دين الله، فيُحرِّم أو يُحلِّل بغير بينة وبرهان من ربه، وهنا يكون الإثم على المفتي إذا كان المستفتي مخدوعًا فيه، وإن كان عليه أن يتحرَّى ويبحث عمن يستفتيه في دينه، ويتعلم منه شرع ربه.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**مَن أُفتِيَ بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره، فقد خانه**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٩١.

(٢) رواه أبو داود في العلم (٣٦٥٧)، وابن ماجه في المقدمة (٥٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤١٠)، والحاكم في العلم (١٢٦/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٦٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد ذكرنا من قبل ما حدث في عهد النبوة أنه أصابت رجلًا مسلمًا جراحة، ثم أصابته جنابة، فأفتاه بعض الناس بضرورة أن يغتسل، فعمل بفتواهم، فتفاقم جرحه، فمات منه. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال مُنكِرًا عليهم: «**قتلوه، قتلهم الله! هلا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العِي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه**»[(١)].

فأخبر النبي ﷺ أنهم قتلوه، ودعا عليهم بقوله: «**قتلهم الله**» فدلنا هذا على أن من الفتاوى ما يقتل، وليس كل القتل قتلًا ماديًا، لعل القتل المعنوي أشد خطرًا من المادي، وأخطر منه قتل الجماعة، وإزهاق روحها بالفتاوى الجاهلة.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ ٨٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فضائل يجب أن يتصف بها المعلم

وعلى المعلم أن يخلص النية في تعليمه، ويعتبر عمله عبادة يبتغي بها وجه الله، فهو يقوم بوظيفة الرسل، المصطفين في هداية الناس وتعليمهم الخير.

وعليه أن يعتمد منهج التيسير والتبشير، لا التعسير والتنفير، كما أمر النبي ﷺ أمته، فقد قال: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفروا**»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه: «**إن الله لم يبعثني مُعنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا**»[٢].

وقال لأصحابه: «**إنما بُعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين**»[٣].

ومن التيسير المطلوب الرِّفق بالمتعلم، والإشفاق عليه وإن أخطأ، فالمعلم هو الأب الروحي للمتعلم، فيجب عليه أن يصطحب روح الأبوة عند التعليم. كما جاء في الحديث: «**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٢.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٤٠.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢١.

(٤) رواه أحمد (٧٣٦٨)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. وأبو داود (٨)، والنسائي (٤٠)، وابن ماجه (٣١٣)، وابن حبان (١٤٣١)، أربعتهم في الطهارة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وروح الأبوة لا تمنع من التأديب، وضرورة التنبيه على الخطأ، وخصوصًا إذا مس حقوق الآخرين وحرماتهم، وينبغي أن يشتد في التنبيه والزجر إذا كان الخطأ يمثل اتجاهًا منحرفًا لمجموعة من الناس، كالتشدد في الدين، وابتداع رهبانية فيه، والخروج عن المنهج النبوي الذي يقوم على اليسر والاعتدال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)].

ومن التيسير في التعليم: أخذ الناس بالتدرج، فينتقل بالمتعلم من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، ولذا قال السلف: الرباني الذي يُعَلِّم بصغار العلم قبل كباره.

ومن هنا شرع الله لعباده في مكة العقائد وأصول الفضائل، قبل الدخول في الشرائع والأحكام، وكانت مهمة الرسول الكريم طوال العهد المكي، غرس الإيمان الحق وأصول الأخلاق في نفوس أصحابه، قبل كل شيء، ليعدهم لحمل الأمانة الكبرى فيما بعد: أمانة التكاليف الإسلامية، والدعوة إليها، والجهاد في سبيلها.

ولهذا لا ينبغي للمعلم الرشيد أن يخوض بتلاميذه في بحار المختلف فيه، قبل أن يتقنوا المتفق عليه. فإن البدء بالخلافيات يُشتت الذِّهن، ويشوش الفكر.

وإذا كان هناك بعض المعارف فوق طاقة من يعلمهم، فيجب عليه أن يؤجلها، حتى ينضج تفكيرهم، ويتهيؤوا لتلقيها، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في المقدمة (١١/١).

QaradawiBooks.com

وقال علي رضي الله عنه: حدِّثــوا الناس بمــا يعرفون، ودعــوا ما ينكرون، أتريدون أن يُكذب الله ورسوله[١]؟!

ويجب عليه ألا يكون همه حشو الرؤوس بالمعلومات وحسب، بل تزكية الأنفس بالفضائل والصالحات، وأن يربي بالقُدوة والحال، أكثر من التربية بالمقال. وبذا يكون من معلمي الناس الخير[٢].

* * *

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) رواه البخاري في العلم (١٢٧).

(٢) انظر: كتابنا: الرسول والعلم صـ ١١٤ ـ ١٥٨، التعليم ومَبادئِه وقيمه، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	١١٨، ١٢٣
﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾	٤٤	١٣٦
﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾	١٠٢	١٢٧
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾	١٤٠	١٤٥
﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾	١٥١	١٤٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾	١٥٩ ـ ١٦٠	١٤٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ﴾	١٧٠ ـ ١٧١	١٣٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	١٧٤ ـ ١٧٥	١٤٦
﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾	١٧٨	٢١
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	١٨٣	٢٦، ٢٨
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	١٨٥	٦، ٢٠
﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢١٩	٣٩
﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾	٢٦٧	٤٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾	٢٨٣	١٤٥
﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾	٢٨٦	٣٨
سورة آل عمران		
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾	٨	١٤
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾	١٨	٦٨
﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾	٦٤	١٢١
﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	٧٩	١٣٩
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	١٠٤	١٤٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾	١٨٧	١٤٥
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾	١٩١	٢٦
سورة النساء		
﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٦، ٢٠
﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾	٤٣	٣٩
سورة المائدة		
﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾	٦	٦، ٢٠
﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾	٩٠	٣٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾	١٠١	٣٩
سورة الأنعام		
﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾	٨٩	١٤٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾	٣٨	١٣٢
﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾	١٥٧	٣٨
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٩٧
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾	١٧٥ ـ ١٧٦	١٣٦
سورة التوبة		
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	١٠٥
﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٢٦
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾	١٢٢	٦، ٦٩، ٩١، ١٢٩، ١٤١
سورة يونس		
﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾	٣٢	١٣٤
سورة هود		
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	٦١	١٢٣
سورة يوسف		
﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾	٤٧ ـ ٤٩	١٠١
سورة إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	٢٣
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	٣٢ ـ ٣٤	١١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النحل		
﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ ﴾	٢٥	١٤٧
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	٦٩، ٨٩
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	٧٨	٦٧
﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا ﴾	٨٨	١٤٨
سورة الإسراء		
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾	٣٦	٦٧
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	٧٠	١١٨
سورة الكهف		
﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾	٦٢	٧١
﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾	٦٦	٧١
﴿ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾	٦٧ ـ ٧٠	٧١
سورة مريم		
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	٦٤	٤٠
سورة طه		
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾	١١٠	١٤٩
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤	٦، ٦٦، ٧١
سورة الأنبياء		
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٧	٦٩
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٢١، ٩٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾	٢٨	٢٦
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾	٣٧	٢٧
﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾	٥٤	٦٤
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	٢١
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	١ ـ ٢	٢٨
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥ ـ ١١٦	١١٩
سورة الفرقان		
﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٩٧
﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	٥٩	٨٩
سورة الشعراء		
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٨، ٨٩	٥٩
سورة النمل		
﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾	٤٠	١٠٨
﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	٦٥	١٤٩
سورة القصص		
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٥٠	١١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾	١٣	١٤٨
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾	٤٥	٢٦
سورة الروم		
﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾	٢ ـ ٨	١٠٣
سورة لقمان		
﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٠	١١٨
سورة الأحزاب		
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾	٣٦	٨٤
﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾	٦٣	١٤٩
﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾	٦٧ ـ ٦٨	١٣٢
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾	٧٢	١١٨
سورة فاطر		
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾	٢٨	٦٩
سورة ص		
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾	٢٦	١١٤
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٢٧ ـ ٢٨	١١٩
﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾	٧١ ـ ٧٢	١١٦، ١١٧
سورة الزمر		
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٩	٦، ٦٨

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فصلت		
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾	٥٣	٧٩
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	١٣	٩٥، ١١٨
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾	١٨، ١٩	٤٩
﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾	٢٤	١٢٠
سورة محمد		
﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾	١٩	٦٥
سورة الذاريات		
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	١٢٣
سورة النجم		
﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾	٢٣	١١٤
﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾	٢٨	١١٣
﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۞ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	٣٨ ـ ٤٢	١١٩
سورة الرحمن		
﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾	١ ـ ٤	١٣٩
سورة الصف		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٢ ـ ٣	١٣٦
سورة الجمعة		
﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ ﴾	٥	١٣٠

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الملك		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	١١٩
سورة المدثر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾	١ ـ ٧	٦٥
سورة الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾	٦ ـ ٨	١٢٢
سورة الانشقاق		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾	٦	١٢٠
سورة الشمس		
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٩	٨٢
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾	١ ـ ٥	٦٥، ١٢١، ١٢٢
﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	١٣٩
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾	٥	٥٩

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

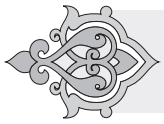

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحـديـث	رقم الصفحة
أ	
أصدق كلمة قالها شاعر: كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل	١١٠
اعقلها وتوكل	١٠٢
أفلح إن صدق. أو: دخل الجنة إن صدق	٣٤
اكتبـوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس	٩٩
اللهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع	١٣٦
أمُتَهَوِّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية	١٠٦
إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان	١٣٧
إن أعظم المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يحرم، فَحُرِّم من أجل مسألته	٣٩
إن الله قد حد حدودًا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها	٤٠
إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من صدور الناس	٩١، ١٥١
إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم	٥٩
إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني مُعلمًا مُيسرًا	١٤٠، ١٥٣
إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه	٣٤

QaradawiBooks.com

الحـــديـث	رقم الصفحة
إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته	٣٤
أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك	٢٧، ٨٢
إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع	٦٨
أنتم أعلم بأمر دنياكم	٩٦
إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به	٩٦
إنما أنا لكم مثل الوالد لولده	١٥٣
إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى	٧٢
إنما بُعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين	١٥٣
إني والله ما آمن يهود على كتابي	٩٨
أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس، فليوجز	٣٧
ب	
بلغوا عني ولو آية	١٤١
ح	
حذَّرنا رسول الله ﷺ من كل منافق عليم اللسان	١٣٨
خ	
خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه	٦٩، ١٣٩
د	
دعهم يا عمر؛ وفي رواية أنه قال له: إنهم بنو أرفدة	٣٥
دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم	٤٠
دعوه ـ أي لا تقطعوا عليه بولته ـ وصبُّوا عليه ذنوبًا من ماء	٢١

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحـديـث	رقم الصفحة
ر	
رُبَّ حامل فقه ليس بفقيه	١٣٠
ص	
صلوا كما رأيتموني أصلي	٢٩
ط	
طلب العلم فريضة على كل مسلم	٧٥
ع	
على خلفائي رحمة الله. قيل: ومَن خلفاؤك؟ قال: الذين يحيون سُنَّتي	١٤٢
ف	
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال: إن الله وملائكته	١٤٠
فمن رغب عن سنتي فليس مني	١٥٤
فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعم	١٤٢
فيما سقت السماء العُشر	٤٢
ق	
قتلوه، قتلهم الله! هلا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العِي السؤال	٨٩، ١٥٢
ك	
الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها، فهو أحقُّ بها	١٠٥
ل	
لا تـزول قـدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيمَ أفناه؟	١٣٥
لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا تماروا به السفهاء	٧٢

QaradawiBooks.com

الحـــديـــث	رقم الصفحة
لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالًا، فسلَّطه على هلكته في الحق	١٤٠
ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا	٧٠
م	
ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرمه فهو حرام	٤٠
ما ظنُّك يا أبا بكر، باثنين الله ثالثهما؟ ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾	١٠٥
ما لنخلكم؟! قالوا: قلت كذا وكذا. قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم	٩٧
ما المسؤول عنها بأعلم من السائل	١٤٩
ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا	٣٧
ما يصنع هؤلاء؟ قال: يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى، يلقحون به	٩٦
مثل الذي يُعلِّم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل الفتيلة	١٣٧
مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا	٧، ١٣٠
مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار.	١٣٧
مَن أُفتِيَ بغير علم كان إثمه على من أفتاه	١٥١
من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به	٧٢
من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع	٦٨
من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه	١٤٨
من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه	١٤٢
من سُئِل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار	١٤٥
من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا	٣٤
من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة	٦٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحـديـث	رقم الصفحة
من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه	٢٨
منهومان لا يشبعان؛ طالب علم، وطالب دنيا	٧٣
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي	٧، ٥٩، ١٢٩
ن	
نضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا، فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع	١٤١
نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها، وبلَّغها من لم يسمعها	١٤١
و	
ومن اقتبس علمًا من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد	١٢٧
ويتعلمون ما يضرهم...	١٥٩
ي	
يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة	٢١
يا عائشة، ما كان معهم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو	٣٥
يا عائشة، هل غنيتم عليها؟ أوَلا تغنّون عليها؟	٣٥
يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلقُ أقتابه	١٣٧
يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم	٦٤
يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوعا ولا تختلفا	٧، ٢١، ٢٢، ١٥٣

❊ ❊ ❊

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

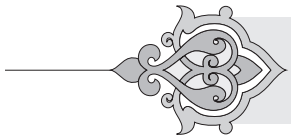

فهرس الموضوعات

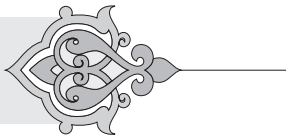

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٦

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٧

• **مقدمة** ١١

• **نحو فقه ميسر معاصر** ١٥

• **تمهيد** ١٥

❖ **المراد من تيسير الفقه** ١٧

علم الفقه وشموله ١٧

شرعية التيسير ٢٠

توخي السهولة والتوسط ٢٣

مخاطبة العقل المعاصر ٢٣

استخدام معارف العصر ومقاديره ومصطلحاته ٢٤

ترجمة المقادير الشرعية إلى مقادير العصر ٢٤

استخدام بعض المصطلحات الحديثة ٢٤

ربط الفقه بالواقع وحذف ما لا يتصل به ٢٥

بيان الحكمة من التشريع ٢٦

بيان الأسرار الباطنة للعبادات المفروضة ٢٧

ربط الأحكام بعضها ببعض ٢٨

التخفف من كثرة الزوائد والتعقيدات ٢٩

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الاستفادة من كتابات العصر ٣٠
مستويات مختلفة من الكتب ٣٠
الترقيم ووسائل الإيضاح والفهرسة الدقيقة ٣١
المقصود بالتيسير المنشود هنا ٣٣
١ ـ مراعاة جانب الرخص ٣٣
٢ ـ مراعاة الضرورات والظروف المخففة ٣٤
٣ ـ اختيار الأيسر لا الأحوط في زمننا ٣٦
٤ ـ التضييق في الإيجاب والتحريم ٣٨
٥ ـ التحرر من العصبية المذهبية ٤٠
ماذا نعني بالتحرر من المذهبية؟ ٤١
لماذا نرفض التقليد والعصبية المذهبية؟ ٤٣
٦ ـ التيسير فيما تعم به البلوى ٤٦
٧ ـ رِعاية المقاصد ٤٩
٨ ـ تغيير الفتوى ٤٩
تحقيق هدفين معًا ٥٠

• معالم منهجي الفقهي ٥١

❖ معالم منهجي الفقهي ٥٣

• فقـه العلـم ٦١

❖ فقه العلم ٦٣
لماذا بدأنا بالعلم؟ ٦٣

❖ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ٦٧
الحث على التعلم ٦٧
التأدب مع المعلم ٧٠
العلم من المهد إلى اللحد ٧٢

QaradawiBooks.com

❖ **العلم المفروض طلبه فرض عين** **٧٥**
رأينا في العلم المفروض على كل مسلم ٧٦
❖ **تعلم أصول التوحيد والعقيدة** **٧٨**
تعلم ما لا بد منه من الفقه والأحكام ٧٩
التمذهب ليس بلازم شرعًا ٨٠
تعلم أصول السلوك لطريق الآخرة ٨٢
علوم مكملة ٨٣
ثمرة هذا التفقه في الدين ٨٣
فرضية تعلم القراءة والكتابة في عصرنا ٨٤
كيف يحصل المسلم العلم المفروض عليه؟ ٨٥
اختلاف الطرائق باختلاف الحال ٨٥
التعلم عن طريق السماع ٨٥
التعلم عن طريق القراءة ٨٧
وجوب سؤال أهل العلم فيما يشكل على المسلم ٨٩
❖ **فرض الكِفاية في العلم** **٩١**
التبحر في علوم الدين ٩١
التفوق في علوم الدنيا ٩٢
مناقشة للإمام الغزالي في اعتباره تعلم الدقائق فضيلة لا فريضة ٩٤
إتقان العلوم الطبيعية والرياضية ٩٥
تعلم اللغات عند الحاجة ٩٧
إتقان علوم الإحصاء ٩٨
علم التخطيط للمستقبل ١٠٠
اقتباس كل علم نافع من أهله ١٠٥
❖ **الإسلام والعلوم الإنسانية** **١٠٩**
ملاحظات على العلوم الإنسانية ١١١

QaradawiBooks.com

١ ـ الظَّنيَّة **١١١**
٢ ـ الذاتية **١١٣**
٣ ـ الروح الغربية **١١٥**
من عيوب النظرة الغربية للإنسان ١١٦
أ ـ إغفال الروح في كيان الإنسان **١١٦**
ب ـ إغفال الدار الآخرة **١٢٠**
جـ ـ إغفال جانب العبودية لله **١٢٠**
د ـ الزهو بمنجزات الحضارة المادية **١٢٢**
المدرسة الإسلامية للعلوم الإنسانية ١٢٣
❖ **العلم المباح والعلم المذموم** **١٢٥**
العلم المُباح ١٢٥
العلم المذموم ١٢٦
❖ **واجبات طلبة العلم** **١٢٩**
الفقه وحُسن الفهم ١٢٩
الترقي عن التقليد ١٣١
العمل بالعلم ١٣٥
❖ **تعليم العلم ونشره في الناس** **١٣٩**
❖ **وجوب البيان وتحريم الكتمان** **١٤٤**
تحريم نشر العلم أو الفكر الضار ١٤٦
❖ **الوقوف عند ما يعلم** **١٤٩**
❖ **فضائل يجب أن يتصف بها المعلم** **١٥٣**
• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **١٥٩**
• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **١٦٧**
• **فهرس الموضوعات** **١٧٣**

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية